جريمة التعدي بالتسبب في المرض بالممارسات الجنسية الشاذة
في ضوء الطب والدين

دكتور
عادل الصاوي محمود الصاوي
أستاذ الشريعة المساعد بكليات بريدة
كلية العلوم الإدارية والإنسانية
قسم الحقوق – المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الإسلام ينظر إلى الجنس على أنه طاقة من طاقات الحياة، ولذة من لذاته التي إذا ما استُخدمت في الحلال كانت عبادة لله رب العالمين، وكان فيها راحة النفس والقلب وبناء المجتمع؛ فالجنس في الإسلام جزء من أخلاقيات الفرد، وجزء من بنائه الاجتماعي، ووسيلة الإنسان للاستمرار والانتشار، ورابط أساسي بين الرجل والمرأة في ظل عقد مشروع. (١)

ولقد كان من تمام النعمة وكمال المنة ان وجه الله – عز وجل – قصدي وصرف همتي الى دراسة هذا الموضوع، تلك الدراسة التي تصقل العقل وتشحذ الذهن من خلال الغوص في ميدان الدراسات البينية بين الفقه الإسلامي والطب الحديث .

والجنس من المنظور المادي هو شهوة مجردة، أما من المنظور الإسلامي فهو جزء من الحياة المتزنة الآمنة التي تحتوي بطبيعتها على الأمن والأمان، ولكن عندما يتحول الجنس إلى هدف بحد ذاته، وإلى غاية ومبتغى، فإنه يفسد المجتمعات ويوصلها إلى مدارك الضلال والحيوانية.... وبين أيدينا جرائم بدأت تطل بوجهها

---

(١) يدل على ذلك ما روى عن أبي ذر – رضي الله عنه – أن ناسًا من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – قالوا: يا رسول الله: ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون؟ إن لكم بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهى عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر. فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر". أخرجه مسلم كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ج٢ ص٦٩٧ رقم (١٠٠٦).

وهذا من محاسن الإسلام وعظمته، ورفعة مكانته؛ إذ يؤجر المسلم على قضاء رغباته وشهواته عندما يؤديها في الحلال طلبًا للعفة، وتحصينًا للنفس من الميل إلى المحرمات، ورغبة في الحصول على الولد. والله أعلم وأحكم.

القبيح وتتسرب رويدًا رويدًا مع موجة الإباحية والتهتك الأخلاقي تحت شعار الحرية الشخصية؛ ساعد في انتشارها وسائل الاتصال المختلفة ،والإعلام المضلل ، وهذه الجرائم تمثل اعتداء على الفضيلة وتهدد القيم والمبادئ والأخلاق، وهي على عكس الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها من ميل الرجل للمرأة، قال تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). (١) هذه الجرائم التي بدأتَ تنتشر في المجتمعات الإسلامية مع موجات التحلل والإباحية بقصد إغراق المجتمعات في الفجور، والقضاء على القيم والمبادئ، وبخاصة بعد خروج مجتمع الشواذ عن دائرة الاستخفاء إلى دائرة العلانية ، وسوف أحاول خلال هذا البحث كشف النقاب عن حكم التعدى بهذه الممارسات الجنسية الشاذة من خلال المنظور الطبي، ثم بيان موقف الإسلام منها ؛ حيث إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولايبنى الحكم الشرعى الصحيح إلا على تصور صحيح .

وقد حاولت جاهدا معالجة هذه القضية من خلال القواعد والأطر العامة في الفقه الإسلامي، وذلك بعد بيان رأى الطب، وهكذا نجد شريعة الاسلام قادرة على مواجهة كافة الفروض والمشاكل التي تستجد في حياتنا وتحتاج إلى العلاج الملائم لها، لاسيما وأن بيان وإظهار الحكم الشرعي لهذه الامور أصبح أمراً بالغ الأهمية؛ لأنها تهم كل مسلم يريد أن يكون على بصيرة من أمر دينه.

وأنا لا أدعي – ومعاذ الله أن أدعى – أن هذا البحث قد استوعب الفروع والجزئيات التي ينتظمها عنوانه ولكني – فقط – مسست خطوطًا عريضة وقضايا كبرى اقتضت الضرورة بيان الحكم الشرعي فيها مع بيان رأى أهل الطب؛ لأن أهل العلم هم المتخصصون في كل مجال.

كما أني لا أدعي خلو بحثي من العيب ولا سلامته من النقص بل أعتقد أني مهما بالغت في تحريره وتهذيبه فلابد من وجود هفوات وعثرات ومآخذ تثير الانتقاد، لأن غير المعصوم أهل للخطأ والنسيان، وحسبي أنها محاولة جادة قمت بها، وجهد بذلته

(١) سورة الروم ٣٠

مع حسن القصد ونبل الغاية، وبذل ما في الوسع، فالكمال لله وحده، والنقص من جملة البشر، وكل واحد عرضة للصواب والخطأ، ومأخوذ من قوله ومردود عليه، ولا عصمة إلا لأنبياء الله ورسله.

وألتمس العذر لما في هذا البحث من تقصير، وحسبي أني بشر أصيب وأخطئ فإن أصبت فمن الله، وإن كانت الأخرى فما لهذا قصدت ولا أردت فهو من نفسي ومن الشيطان والله عز وجل ورسوله منه براء. (١)

وأسأل الله العفو والعافية.

أسباب الكتابة في الموضوع:

١- بيان أن الفقه الإسلامي فيه من الخصائص والمُمَيزيات التي تجعله صالحًا لاستيعاب كل المستجدات الحديثة، ومعالجتها بطريقة دقيقة، وإعطائها الحكم الشرعي الصحيح المبني على قواعد الشريعة الإسلامية ونصوصها، وهذا يجعله مسايرًا للزمان والمكان.

٢- بيان أن تعاليم الإسلام كلها تؤدي إلى الاحتفاظ بالصحة البدنية والنفسية، والروحية والعقلية والارتقاء بها إلى أعلى ما يمكن أن تصل إليه، ولو اتبع الناس تعاليم هذا الدين الحنيف بدقة لسعدوا في الدنيا والآخرة.

٣- الرد على ما يصف الشريعة والفقه الإسلامي بالعجز، وعدم صلاحيته لهذا العصر الذي نعيش فيه، وبيان أن الفقه الإسلامي وفقهائه شملوا هذه المسائل بالنص عليها وإن لم تكن عباراتهم صريحة في هذا الموضوع، ولكن بتدقيق النظر يستنبط الحكم.

٤- أن هذه المسائل تبرز قيمة الفقه الافتراضي، وكيف كان العلماء يفترضون مسائل لم تقع ولا يتصور وقوعها، فإذا بها تقع في عصرنا الحديث، مع أن الغالبية خاصة من أهل الفقه قد لا يعطون أهمية لموضوع الفقه الافتراضي، ويعتبرون ذلك مضيعة للوقت والجهد، والحقيقة أن هذا التصور يحتاج إلى

(١) وهذه الدراسة محاولة لتبيين أبعاد المشكلة، ووضع بعض الحلول لها، وإثارة لذوي الرأي من أهل الطب والفقه والقانون لدراستها بما تستحقه من اهتمام وعمق.

مراجعة ونظر خاصة بعد إثبات الواقع المعاصر أن الفقهاء الأجلاء لم يكن عندهم ترف فكري كما يتصور البعض.

٥- بيان أن التشريعات الإسلامية هي وحدها الكفيلة بحماية النفس والفضيلة؛ لأنها تجعل هذه الحماية جزء من العقيدة وفريضة يجب القيام بها.

٦- أن أهل الطب إذا لم تتوافر لهم الدراسات والبحوث الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع وأمثاله فإنهم سيلجأون – على غير دراية – إلى القوانين الغربية المخالفة للشريعة الإسلامية، والتي تسعى إلى الحلول السطحية.

ولهذه الأسباب وغيرها أردت أن أكتب في هذا الموضوع.

منهج البحث والدراسة

١- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من سور القرآن الكريم، مع ذكر الآية ورقمها واسم السورة مع بيان وجه الاستدلال من الآيات إذا احتاج الأمر ذلك.

٢- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، والآثار الواردة في البحث تخريجًا علميًا، وفقًا للأصول المعتمدة، مع بيان درجة الحديث إذا لم يوجد في البخاري أو مسلم، وذلك بالاستعانة بكتب السنة المعتمدة مع بيان موضع الحديث في هذه الكتب، بذكر الكتاب والباب، والجزء والصفحة، ورقم الحديث مع بيان وجه الاستدلال من الأحاديث والآثار، حتى يقتنع القارئ ويطمئن إلى سلامة ما يصل إليه هذا البحث من نتائج.

٣- ترجمة بعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة – بإيجاز – وبقدر ما يعطي القارئ صورة واضحة عن شخصية المترجم له، وذلك من خلال كتب التراجم والتاريخ، باستثناء الصحابة رواة الحديث لمسايرة طبيعة البحث ولعدم الحاجة الشديدة لمعرفة الجديد عن هؤلاء الصحابة الأجلاء.

٤- التعريف بالمصطلحات الأصولية، والفقهية، واللغوية التي وردت في البحث وخاصة الغريب منها، من خلال المصادر الأصولية والفقهية واللغوية الأصيلة.

٥- قمت بتوثيق النقول من المصادر والمراجع الخاصة بها؛ لأن ذلك من الصدق في العلم، وقد اعتمدت في التوثيق على طريقة اسم المصدر أو المرجع أولاً، ثم مصنفه بعد ذلك.

٦- قد اتناول بعض القواعد الفقهية واطبقها على موضوع البحث بما يخدم قضية البحث فقط، وإلا فكل قاعدة من هذه القواعد تصلح أن تكون بحثًا مستقلاً.

٧- قد أقوم ببعض المقارنات إذا استلزم الأمر ذلك، ثم موازنة هذه الآراء واختيار الرأي الراجح المبني على الأدلة المعتمدة.

٨- ختمت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة:

أما المقدمة فقد ضمنتها أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، والمنهج الذي سرت عليه.

المبحث الأول
بيان حيثيات الموضوع ومحتوياته

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بجناية التعدي بالتسبب في الفقه الإسلامي .

المطلب الثاني: موقف الفقه الإسلامي من التعدي بالتسبب في الأمراض.

المبحث الثانى
التعدى بتجاوز حدود الاستمتاع بالممارسات الجنسية الشاذة

فيه مطالب:

المطلب الأول: التعدى بوطء المرأة في الموضع الممنوع منه شرعا ، وفيه فروع :

الفرع الأول: التعدى بالتسبب في المرض بالوطء في الدبر .

الفرع الثانى: الأضرار النفسية والصحية المترتبة على الإتيان في الدبر.

الفرع الثالث: الأمراض التي تصيب الزوج بسبب الوطء في الدبر .

الفرع الرابع: العوامل التي تؤدى إلى علاقة جنسية سوية تحقق الرضا للزوجين.

الفرع الخامس: مراحل العملية الجنسية.

المطلب الثانى: التعدي بالتسبب في المرض بالجماع أثناء الحيض، وفيه فروع:

الفرع الأول: الحيض في الفقه الإسلامى وعند أهل الطب .

الفرع الثانى: الأصل في تحريم إتيان المرأة في المحيض، والحكمة من تحريم جماع الحائض

الفرع الثالث: الحكمة من تحريم وطء الحائض:

المطلب الثالث: التعدى بالتسبب في المرض باللواط، وفيه فروع:

الفرع الأول: اللواط عند أهل الطب.

الفرع الثانى: أسماء اللواط وحكمه وأدلة تحريمه.

الفرع الثالث: الحكمة من تحريم الممارسات الشاذة.

المطلب الرابع: المعاشرة أثناء وجود الأمراض المنقولة، وفيه فروع:

الفرع الأول: المقصود بالأمراض المنقولة جنسيا.

الفرع الثانى: عزل المريض المصاب بالأمراض المنقول جنسيا عند أهل الطب.

الفرع الثالث: موقف الإسلام من رعاية المصابين بالأمراض المنقولة جنسيًا.

الفرع الرابع: مسؤولية الجانى بالتعدى بالممارسات الشاذة.

المبحث الأول
بيان حيثيات الموضوع ومحتوياته

المطلب الأول
التعريف بجناية [1] التعدي بالتسبب في المرض، وحكمه في الفقه الإسلامي

الجناية [2] في اللغة: هي في الأصل مصدر جنى يجني جناية، من جني الثمار وأخذه من على شجره، وتطلق على كل ما يجنيه الإنسان من شرور وآثام.

وشرعا: اسم لفعل محرم حل بمال أو نفس. [3]

---

(١) خص بعض الفقهاء الجناية بما وقع على الأبدان فقط، أما ما وقع على الأموال فيسمونه غصبا ونهبا وسرقة وخيانة وإختلاسا، وما وقع على الفروج يسمونه زنا وسفاحا، وما وقع على الأعراض يسمونه قذفا. وخالف في ذلك ابن رشد الحفيد حيث بين أن الجنايات تطلق على كل الجرائم التي توجب حدا أو قصاصا أو كفارة، سواء كانت على الأبدان أو على الأموال أو على الفروج
أو على الأعراض أو تعديا على ما حرمه الله عز وجل. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٢/ ٣٩٤، ٣٩٥، طبعة الحلبي.

(٢) بعد أن اصطلح عامة الفقهاء على أن الجناية هي ما كانت على الأبدان فإنهم يقسمونها ثلاثة أقسام:

١- جناية على النفس، وهي التي تؤدي بالنفس إلى الهلاك كالقتل، وفى موضوعنا هذا كنقل المرض القاتل أو التسبب فيه

٢- جناية على ما دون النفس، وهي التي تكون على عضو من أعضاء الجسد ولا تؤدي بالنفس إلى الهلاك كالجروح وقطع الأعضاء.

٣- جناية على ما هو نفس من وجه ولا يعد كذلك من وجه آخر كالجناية على الجنين.

ويعبر الحنفية بالجناية على الجنين بأنها جناية على ما هو نفس من وجه دون وجه، وذلك لأن الجنين يعد نفسا من وجه، ولا يعد كذلك من وجه آخر، فيعد نفسا من وجه أنه آدمي، ولا يعد كذلك؛ لأنه لم ينفصل عن أمه، فهو يتحرك بتحركها ويقر بقرارها ويعتق بعتقها ويدخل في البيع ببيعها فهو لم ينفصل عن أمه.

(٣) حاشية ابن عبدين ٦: ٥٢٧.

أو هي ما يحدثه الرجل على نفسه أو غيره، مما يضر حالا أو مآلا [١]

والاعتداء مشتق من العدوان وهو: الظلم وتجاوز الحد. يقال: اعتدى عليه إذا ظلمه، واعتدى على حقه أي جاوز إليه بغير حق.[٢]

وفي الاصطلاح: يعرف الاعتداء بالظلم وتجاوز الحد.[٣]

والعدوان هو: أسوأ الاعتداء في قول أو فعل أو حال.[٤]

والتعدي بالتسبب في موضوعنا هذا يقصد به: مجاوزة ما ينبغي أن يُقتصر عليه شرعاً أو طباً، فإذا قلنا مثلا مجاوزة حدود الاستمتاع بالمرأة على غير الوجه المشروع يكون تعديا – إذا وقع على غير الوجه المعروف شرعا – كالوطء في الدبر ووقوع المرض بسبب ذلك ، أو الجماع أثناء الحيض [٥]والتسبب في العقم أو سرطان الرحم ،أو

---

(١) مواهب الجليل ٦: ٢٧٧.

(٢) لسان العرب مادة (عدا)

(٣) الموسوعة الفقهية ٢٠٢/٥

(٤) التعدي بالتسبب يقع على: " الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والنسل، والمال، وسائر الحقوق

(٥) ينشأ دم الحيض من تمزق في أوعية الدم الموجودة في الغشاء المخاطي المبطن للرحم في كل شهر قمري مرة على الغالب ، ويختلط هذا الدم في أثناء نزوله بمواد مخاطية وأحماض وغير ذلك من مفرزات الرحم وغيره ، ولا يعلم سبب هذا التمزق الشهري إلى الآن ، ومن ذلك يُفْهَم أنه ليس دمًا صافيًا نقيًّا ، بل مختلطًا بمفرزات الرحم والمبيضين وغيرهما ، وتأثيره في ورق عباد الشمس يدل على حموضته ؛ وإنما حُرِّم الجماع في زمن الحيض للأسباب الآتية :

١-إن تهييج أعضاء الأنثى بالجماع في هذا الوقت قد يحدث احتقانًا، فالتهابات رحمية أو مبيضية أو حوضية تضر بصحتها ضررًا بليغًا، وربما نشأ عن هذا الالتهاب تلف في المبيضين أو مجاري البيوضة يؤدي إلى العقم ، وأيضًا فإن تعريض الأنثى للهواء في هذا الوقت يضر بأعضائها الداخلية وقد يحدث فيها التهابًا .

٢-إن دخول مواد الحيض في مجرى قضيب الرجل قد يحدث فيه التهابًا صديديًّا في بعض الأحيان، وهذا الالتهاب يشبه السيلان ، وقد يمتد إلى الخصيتين فيؤذيهما وربما نشأ عن ذلك أيضًا عقم الرجل. فجملة القول: أن الجماع في المحيض قد يُحْدِث عقمًا في الذكر والأنثى، ويؤدي إلى التهاب أعضائهما الذي يفسد صحتهما ، وكفى بذلك ضررًا ؛ ولذلك تجد أطباء العالم المتمدن الآن ينهون عن الجماع في ذلك الوقت ، ويثبتون صحة ما جاء به القرآن الكريم في=

سرطان الجلد ، أو الجماع أثناء الأمراض المنقولة فيتسبب بنقلها للطرف السليم ، وما أدى إلى الحرام فهو حرام .

ويمكن أن نقول إن التعدي: هو تجاوز الحق، أو ما يسمح به الشرع والطب.

وقد يكون التعدي بمخالفة الشرع وحدة كالتفريط أو التقصير في فعل ما ينبغي عمله شرعاً.

والفرق بين التقصير والتعدي أن التقصير من باب الترك والإهمال، أما التعدي ففيه عملٌ وعدوانٌ. فالمقصرَ متسببٌ بترك ما وجب عليه.(١) والمتعدى متسبب بمجاوزة الحد، والمرجع في تحديد حصول التعدي بنقل المرض أو التسبب فيه، هو: الشرع والطب، ويمكن أن نقول أن المقصود بمصطلح التعدي هنا: مجاوزة المرء – عمداً – الحدَّ الذي سمح به الشرع، أو الحدَّ الذي اتفق عليه أهل الطب، وكلٌ من التعدي والتقصير ينتج عنه ضررٌ بالهلاك أو التلف .

حكم التعدي بنقل أو التسبب في المرض

الاعتداء والتعدى محرم بالكتاب، والسنة :

أما الكتاب: فقد وردت آيات كثيرة تحرم التعدي بجميع أنواعه، ومن ذلك على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، قوله تعالى: " وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ "(٢)

ومن السنة: ما رواه البيهقي عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تقربوها، وترك أشياء عن غير نسيان فلا تبحثوا عنها " (٣)

= قوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ سورة البقرة ٢٢٢

(١) دور الهيئات الشرعية في تحديد التعدي والتقصير ص ١٨-٢٠

(٢) المائدة ٨٧

(٣) سنن البيهقي الكبرى الحديث رقم (٢٠٢٨٣)

المطلب الثاني
موقف الفقه الإسلامي من التعدي بالتسبب في الأمراض

اهتم الإسلام بالصحة اهتمامًا عظيمًا، وجعل المحافظة عليها من الواجبات الهامة، وحفلت تعاليم الإسلام بالعديد من التوصيات والواجبات التي تؤدي إلى حفظ الصحة البدنية، والنفسية، والعقلية، والارتقاء بها إلى أعلى مستوياتها المقدرة لها في الدنيا.

وجعل الإسلام المحافظة على الكليات الخمس مدار كثير من التكاليف والعبادات والمعاملات، وهي : المحافظة على الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل، وثلاث من هذه الخمس تتعلق بالصحة تعلقًا واضحًا جليًا وهي النفس، والعقل، والنسل، والأمراض التي تعتور الإنسان تؤدي إلى تلف النسل وأغلبها ناتج عن سوء تصرف من الإنسان ذاته وقد أثبت الطب الحديث أن معظم الأمراض ناتجة عن تصرفات خاطئة وضالة من الإنسان نفسه، وتعاليم الإسلام كلها تؤدي إلى الاحتفاظ بالصحة البدنية والنفسية والروحية والعقلية، والارتقاء بها إلى أعلى ما يمكن أن تصل إليه. لهذا بقي مجال للتداوي دون ريب، ولكن ما ينبغي أن ندركه هو أن الطب كالشرع وضع لجلب مصالح السلامة والعافية، ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام كما قال العز بن عبد السلام ، وقد نهى الإسلام عن تعريض النفس للهلاك، فقال:" وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ"(١)، وجعل من ذلك صورا كالتسبب في العدوى، وهي:

أن يجاوز المرض صاحبه إلى من يقرب منه، وهذا معروف في بعض الأمراض كالجرب، والجذام ، والشريعة لا تجيء على خلاف الحقائق العلمية في حال.

قال صلى الله عليه وسلم " لا يورد مُمرِض على مُصِح"؛ أي: لا يورد ذو إبل مريضة على ذي إبل صحيحة. والمعنى: أن لا تورد إبل مريضة على إبل صحيحة. وعلة النهي عن إيراد المريضة على الصحيحة: خوف انتقال المرض أو التسبب في العدوى.

وجاء في الصحيح: أن النبي –صلى الله عليه وسلم –قال في الوباء: "إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع في أرض، فلا تخرجوا منها".

وهذا الحديث ظاهر في أن علة النهي عن الإقدام على أرض الوباء هو الحذر من العدوى.

---

(١) سورة البقرة: ١٩٥

المبحث الثانى
التعدى بتجاوز حدود الاستمتاع بالممارسات الجنسية الشاذة

وفيه مطالب:

المطلب الأول: التعدى بوطء المرأة في الموضع الممنوع منه شرعا.

تمهيد:

الجنس عند الإنسان هبة إلهية تمس صميم الكيان الإنساني على كافة مستويات حياته، فهو لا يمس جانبًا واحدًا من حياتنا بل يمتد ويتداخل في طبيعتنا الإنسانية ليضع بصماته على وجود الفرد وشخصيته، ويؤثر على حياتنا النفسية والانفعالية، وعلاقاتنا الاجتماعية بالآخرين.

إذن يمكن أن نرى أن الجنس عند الإنسان، له ثلاثة أبعاد رئيسة :

البعد الأول : وفيه نجد التفاعل الشخصي بين الجنسين الناتج عن القُبول المتبادل الذي يساهم في نمو الحب بينهما، والذي يفتح بدوره المجال للاتحاد الزوجي، ولا ينحصر البعد الشخصي للجنس في مجرد العلاقة بين الجنسين؛ بل يتجاوزها لكي يغذي الجوانب الاجتماعية والروحية عند الإنسان في ظل عقد مشروع.

قال تعالى :" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ".(١)

البعد الحسي : ويقصد به الإحساس باللذة في العلاقة الزوجية، ذلك أن الزوجية عمومًا سنة من سنن الله في الكون بجميع عوالمه لا يشذ عنها عالم مما خلق الله؛ فهي عادة مطردة في عالم الحيوان، وعالم النبات كما هي في عالم الإنسان.

قال تعالى : "سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ "(٢)

فمما تنبت الأرض عالم النبات، ومن أنفسهم عالم الإنسان ومما لا يعلمون شتى المخلوقات، ولو لم يعرفها الإنسان؛ فالكل تجري عليه عادة الزوجية.

قال تعالى : "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "(٣)

---

(١) سورة الروم الآية (٢١).

(٢) سورة يس الآية (٣٦).

(٣) سورة الذاريات الآية (٤٩).

البعد التناسلي: ويقصد به إنجاب النسل حفاظًا على النوع، وعبادة الله في الأرض كما هو معبود في السماء؛ فيشع نور الأرض بحمد الله وتسبيحه من كل المخلوقات كما تشع السماء بنور الحمد والتسبيح من عالم الملائكة الذين لا يفْتُرون. قال تعالى:" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"(١)؛ فكانت حكمته سبحانه أن تستمر خلافة الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولما كان ذلك لن يكون إلا ببث الذرية عن طريق التوالد وتكثير النسل أباح الله اقتران الرجل بالمرأة في ظل علاقة مشروعة متكفلاً لها بالتشريع الذي يصونها ويحميها وسميت شرعًا بالنكاح أو الزواج، معبرًا عن البعد الشخصي للجنس في حياة الزوجين.

هذه الأبعاد الأساسية الثلاثة للجنس أراد الله منذ البدء أن توجد معًا جنبًا إلى جنب في توازن دون أن يطغى بعض على آخر، حتى تحقق العلاقة بين الزوجين هدفها الأصيل.

لكن إذا كان هذا الاتصال الجنسي يترتب عليه ضرر أو يتسبب (٢) في نقل المرض أو يترتب عليه سلوك إجرامي (٣)يؤدى إلى نتيجة إجرامية ، فما حكم هذه العلاقة إذا؟ وبخاصة بعد أن أصبح العالم اليوم يعيش في قرية صغيرة بسبب وسائل الاتصال الحديثة، فغدت الثقافات المختلفة في كل بلدان العالم تتبادل عن طريق الأقمار

---

(١) سورة الذاريات الآية (٥٦).

(٢) السلوك الإجرامي هو: كل ما يتخذه الجاني من نشاط إنساني إرادي يتمثل في مواقف إيجابية، أو سلبية، يعاقب عليها بنص شرعي أو نظامي، لمساسها بمصالح المجتمع المحمية بنصوص التجريم.

ويقصد بالإيجابية: مباشرة الفعل المحرم، كمباشرة القتل أو السرقة أو تعمد نقل المرض القاتل بالجماع

ويقصد بالسلبية: الامتناع عن أداء الفعل الواجب، كالامتناع عن أداء الصلاة، أو الحقوق الواجبة.

والنتيجة الإجرامية هي: الأثر المترتب على السلوك الإجرامي؛ كنقل المرض القاتل في جرائم القتل، وأخذ المال في جرائم السرقة.

(٣) يقصد بعلاقة السببية: تلك الرابطة التي تصل بين السلوك الإجرامي والنتيجة المترتبة عليه، بحيث يمكن أن يقال: إنه لولا هذا السلوك لما كانت تلك النتيجة.

الصناعية والقنوات الفضائية، من خلال البث المباشر[1]، وأصبح الغرب يبث الممارسات الجنسية، وهذه الممارسات يكتنفها الكثير من الشذوذ في طرق الجماع وأساليبه المختلفة، وطرق ضرره لممارسته على غير الوجه المشروع ، ومن هذه الممارسات الشاذة المباشرة في الدبر، أو الاتيان في زمن الحيض ،أو الاتيان أثناء المرض القاتل ، وبخاصة بعد أن أصبح الكثير من المسلمين يتأثرون بهذه الممارسات ويقلدونها تأثرًا بما يبثه الغرب، ومن ثم بدأ يكثر السؤال عن حكم هذه الممارسات من الرجال والنساء على السواء، لذا أصبح بحث هذه المسألة ضروريًا لبيان الحكم الفقهي لها؛ لأن العلم لا حرج فيه؛ إذ تقول السيدة عائشة – رضي الله عنها – "نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين". [2]

الفرع الأول : التعدى بالتسبب في المرض بوطء الزوجة في الدبر

---

(١) لا يجوز إغفال مستجدات العصر، وما كشف عنه العلم من يسر انتقال كثير من الأمراض بواسطة المعاشرة الجنسية، ومنها الإيدز، والفيروسات الكبدية، وغيرها من الأمراض التي يغلب على الظن انتقالها بواسطة الجماع، والتي لم تكن معهودة ولا معروفة من قبل. ومن ثم فإنه إذا لم يتيسر الاطمئنان إلى تحصيل أسباب السلامة من الأمراض أثناء الجماع، وإلا فإنه يكون محرمًا، وذلك سدًا لذريعة إتلاف النفس وإلحاق الأمراض المهلكة بها، والتي قد لا تقتصر على من يصاب بها، وإنما تتعداه إلى غيره من أفراد المجتمع فيصبح الفرد المصاب بواحد من تلك الأمراض نواة لانتشار الأوبئة: وذلك لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وسد الذرائع بتحريم ما يفضي إلى الفساد واجب

الأشباه والنظائر لابن نجيم صـ٩٠، قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٧٤/١، شرح القواعد الفقهية للزرقا صـ٢٠٥، القواعد الفقهية للندوي صـ٣١٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم ٢٢٢/٢، حديث رقم (٥٠٠).

ووجه الدلالة من الحديث : أنه ينبغي لمن عرضت له مسألة أن يسأل عنها ولا يمتنع من السؤال حياءً من ذكرها، فإن ذلك ليس بحياء حقيقي؛ لأن الحياء خير كله، والحياء لا يأتي إلا بخير والإمساك عن السؤال في هذه الحال ليس بخير بل هو شر فكيف يكون حياءً. شرح النووي على مسلم ١٢/٢.

طلب الشارع الحكيم تحقيق مصلحة الإنسان في كل أحكامه، فشرع له ما فيه النفع، ودفع عنه ما فيه الضرر؛ لكي يتحقق له ما خلق من أجله، من الخلافة في الأرض، وإخلاص العبادة لله رب العالمين؛ فما شرعه الله من أمور تعبدية خالصة له – تعالى – خصها بنصوص محكمة لا يصح الخروج عنها بالتأويل؛ لئلا يكون ذلك ذريعة للابتداع في الدين، أما تشريعه – تعالى – فقد قصد منه ما يصلح الناس في دنياهم وأخراهم، فوضع الحدود، وقيد المعاملات أو أطلقها، وخص بعضها بالذكر، اتباعًا أو اجتنابًا، وسكت عن أمور، أوكل أمرها للقائمين على شئون المسلمين.

وشريعة الله – تعالى – ما تركت شيئًا من أمور الدين والدنيا إلا وعالجتها، ووضعت لها من الحلول التي ترفع الحرج عن كل الناس، وذلك بالنص عليها صراحة، أو بالنص عليها من خلال القواعد العامة التي يندرج تحتها كل حكم يشترك مع أخيه في علة واحدة .

والناظر في دين الله يعرف أن إتيان الرجل زوجته في دبرها أمر منكر وحرام شرعًا وعرفا وعقلا . (١)

الدليل على هذا الحكم : أولاً : من السنة النبوية :

١– عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : "لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها". (٢)

---

(١) وخسئ الذين يقولون خلاف ذلك، لهم الخزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب الجحيم. بدائع الصنائع ج٢ ص٣٣١، شرح منح الجليل ج٢ ص٥، شرح الزرقاني ج٢ ص١٦٣، المدخل لابن الحاج ج٢ ص١٩٦، المجموع ج١٦ ص٤١٦، المغني ج٧ ص٢٢، كشاف القناع ج٥ ص٢١٠.

ولا خلاف بين الفقهاء في أنه يجوز للرجل أن يأتي امرأته قائمة وقاعدة مقبلة ومدبرة، مستلقية أو على جنب إذا كان ذلك في الفرج، كما أنه لا خلاف بين الفقهاء في جواز الإيلاج بين الإليتين من غير إيلاج في الدبر.

أحكام القرآن لابن العربي ج١ص١٧٤، تفسير أبي السعود ج١ص٢٢٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٣ص٩١.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب النكاح، باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن، جـ١ / صـ٦١٩، حديث رقم (١٩٢٣). قال الشيخ الألباني صحيح.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب النكاح، باب النهي عن إتيان النساء في أعجازهن، جـ٩ / صـ٥١٧، حديث رقم (٤٢٠٣)، واللفظ لابن ماجة.

٢- عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال : "ملعون من أتى امرأته في دبرها".[١]

٣- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال في الذي يأتي امرأته في دبرها : هي "اللوطية الصغرى".[٢]

وجه الدلالة من الأحاديث :

دلت الأحاديث السابقة على حرمة إتيان الرجل زوجته في موضع الأذى، وقد توعد رسول الله ﷺ الذي يفعل ذلك باللعن ولا يلعن المسلم إلا على فعل كبيرة، كما أن هذا الفعل فيه تشبيه بقوم سيدنا لوط، وقد سماه المصطفى ﷺ "اللوطية الصغرى"، وهذا كله يدل على حرمة إتيان الرجل لأهله في الدبر.[٣]

ثانيًا : الإجماع :

نقل أهل العلم الإجماع على تحريمه :

قال الإمام ابن نجيم : "... إتيان المرأة في دبرها حرام بإجماع العلماء".[٤]

وقال الإمام الماوردي[٥] بعد أن ذكر الآثار عن النبي ﷺ قال - رحمه الله - : ولأنه إجماع الصحابة وروى ذلك عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وابن مسعود، وأبي الدرداء ... وليس لمن ذكرنا من الصحابة مخالف فصار إجماعًا.[١]

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب : في جامع النكاح، جـ١ / صـ٦٥٥، حديث رقم (٢١٦٢)، قال الشيخ الألباني حسن، أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، جـ٢ / صـ٤٤٤، حديث رقم (٩٧٣١)، قال شعيب الأرنؤوط حسن رجاله ثقات، رجال الصحيح غير الحارث بن مخلد.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه، جماع أبواب ما يحرم من نكاح الحرائر وما يحل منه، باب إتيان النساء في أدبارهن، جـ٧ / صـ١٩٨، حديث رقم (١٣٩٠٠)، وأخرجه أحمد في مسنده جـ٢ / صـ٢١٠، حديث رقم (٦٩٦٧)، واللفظ لأحمد. قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن، واختلف في رفعه ووقفه والموقوف أصح.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي جـ١٠ صـ٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ٦ صـ٤، تأليف : عبد الرءوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق للعلامة زين الدين بن نجيم الحنفي، جـ٣ صـ١٠٦، دار المعرفة.

(٥) هو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي تفقه بالبصرة، وله مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير، وأصول الفقه، والآداب، وكان حافظًا للمذهب، توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ خمسين وأربعمائة وله ٨٦ ست وثمانون سنة. =

وقال الإمام العيني – رحمه الله–: وقد انعقد الإجماع على تحريم إتيان المرأة في الدبر.. .[٢]

ثالثًا : القياس :

بالقياس على حرمة الوطء في الحيض بجامع الأذى، فإذا كان الوطء في الحيض حرم لأجل الأذى العارض فلأن يحرم الوطء في الدبر لأجل الأذى الدائم من باب أولى.

قال الإمام الماوردي: ومن طريق القياس : أنه إتيان، فوجب أن يكون محرمًا كاللواط؛ ولأنه أذى معتاد، فوجب أن يحرم الإصابة فيه كالحيض ولا يدخل عليه وطء المستحاضة؛ لأنه نادر.[٣]

قال ابن القيم: "وإذا كان الله حرم الوطء في الفرج لأجل الأذى العارض فما الظن بالحُشُّ[٤] الذي هو محل الأذى اللازم، مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل الذي هو العلة الغائبة في مشروعية النكاح، والذريعة القريبة جدًا الحاملة على الانتقال من أدبار النساء إلى أدبار الصبيان.

وأيضًا : فللمرأة حق على الزوج في الوطء ووطؤها في دبرها يفوت حقها ولا يقضي وطرها ولا يحصل مقصودها ...". [٥]

وأيضًا : فإن الدبر لم يتهيأ لهذا العمل ولم يخلق له، وإنما الذي هيئ له الفرج، فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة إليه وشرعه جميعًا.

رابعًا : المعقول : من وجوه :

= طبقات الشافعية تأليف: جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (ت ٧٧٢)هـ، ص٣٦٨، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

(١) الحاوي الكبير للماوردي جـ١١، صـ٤٣٧، المكتبة التجارية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

(٢) البناية في شرح الهداية، لأبي محمد محمود بن أحمد العيني، ج٦ ص٢٥٥، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) الحاوي الكبير، ج٣ ص٣١٩.

(٤) اسم لأسفل مواضع الطعام من الأمعاء، كناية عن الدبر. الترغيب والترهيب جـ٣، صـ٥٩١، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥١/٨.

(٥) زاد المعاد جـ٣، صـ١٤٩، الحاوي الكبير جـ١١، ٤٣٧، نيل الأوطار جـ٦، صـ٦٢٣.

إتيان الزوجة في دبرها لا تختلف صورته عن اللواط، فالوجه المشترك بينهما هو الإتيان في الدبر، سواء كان ذكرًا أم أنثى، ولعل حرمة إتيان المرأة في دبرها من ناحية المعقول يظهر من وجوه :

الوجه الأول : أن الدبر لم يتهيأ لهذا العمل ولم يخلق له، وإنما الذي هيئ له الفرج.

الوجه الثاني : أن الهدف من الزواج ليس الانغماس في الشهوات، وإنما له هدف أسمى وهو إنجاب الذرية والتحصن المشروع، ولا يتأتى هذا مع إباحة إتيان الزوجة في دبرها.

الوجه الثالث : أن هذا العمل يعد شذوذًا في الشهوة يجب التنزه عنه؛ لأنه يفضي إلى التلذذ بما كان يتلذذ به قوم لوط فضلاً عن خساسة هذا العمل ودناءته.

الوجه الرابع : أن القول بتحريم إتيان المرأة في دبرها موافق للمنقول والمعقول، وموافق لقواعد الشريعة التي جاءت بإزالة الضرر وتقليله، حيث أثبت الطب أن الوطء في الدبر يكون سببًا في أمراض خبيثة منهكة وقاتلة.

ومن المعقول أيضًا ما ذكره ابن الحاج في المدخل[1] بقوله :

١- إن من مقاصد النكاح : النسل؛ لقول النبي – ﷺ – فيما رواه أبو داود عن معقل بن يسار قال جاء رجل إلى النبي – ﷺ – فقال : إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد : أفأتزوجها ؟ قال : لا. ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال : (تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم)[2]، والنسل من غير وطء في القبل لا يكون، فلا يأتي من الوطء في الدبر.

---

(١) المدخل لابن الحاج ج٢ ص١٩٩.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، ج٣ ص١٨٠، حديث رقم (١٧٥٤).

صحيح بن حبان، كتاب النكاح، باب ذكر العلة التي من أجلها نهى عن التبتل ٣٣٨/٩، حديث رقم (٤٠٢٨)، سنن سعيد بن منصور، باب جامع الطلاق ٩٩/٢، حديث رقم (٢٢٢٣)، حققه وعلق عليه الشيخ حبيب الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت.

قال الألباني : صحيح. السلسلة الصحيحة للألباني ٤٩٧/٥، حديث رقم (٢٣٨٣)، مكتبة المعارف، الرياض.

٢- إن القذر يكون في الدبر بشكل أكبر وأشد من الحيض الذي يأتي في فترات في القبل، وهي أيام يسيرة من الشهر غالبًا، ومع هذا حرم الجماع في مدته، مع أن نجاسته عارضة، فمن باب أولى أن يحرم الوطء في الدبر، لأجل النجاسة المستمرة التي تخرج منه، فهو موضع لا تفارقه النجاسة.

٣- إذا أبيح للرجل الوطء في الدبر، فإن في هذا قضاء لشهوته وهو حرمان المرأة من حقها في الاستمتاع، وفي هذا ضرر بها من وجهين :

الوجه الأول : تحريك باعث الشهوة فيها من غير أن تنال شيئًا من حقها في الاستمتاع، وفي هذا ضرر بها، إذ قد يدفعها هذا إلى ارتكاب الفاحشة.

الوجه الثاني : إن وطء المرأة في دبرها يضر بها في صحتها مع عدم منفعتها منه في شيء.

إلا أن إتيان الرجل زوجته في دبرها لا يوجب تحريمها شرعًا، ويجب على الزوج أن يقلع عن هذه العادة المرذولة كما يجب على الزوجة أن تعصيه إذا طلب منها ذلك، ولا تمكنه من نفسها ليفعل بها هذا الأمر المنكر؛ إذ (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) فإذا أصر الزوج على هذا الطلب، واستحالت العشرة بسبب امتناع الزوجة عن مجاراته كان للزوجة أن ترفع أمرها للقضاء ليفرق بينهما بسبب هذا الضرر الذي فيه امتهان لكرامتها. (١)

جاء في معونة أولي النهى، شرح المنتهى(٢) : ... أو وطئ في دبر فيحرم في قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم ... فإن تطاوعا على الوطء في الدبر فرق بينهما وإن أكرهها عليه نهى عنه فإن أبى فرق بينهما .... ويعزر عالم بتحريمه. وغير ذلك من الآدلة التي تؤصل هذا المبدأ العظيم لو تركنا القلم لسردها؛ ولكن حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

الفرع الثانى :الأضرار النفسية والصحية المترتبة على الإتيان في الدبر

لا شك أن نهى الإسلام عن إتيان الرجل لزوجته في دبرها أمر في غاية الأهمية؛ لما في هذه المباشرة من الأضرار النفسية والصحية التي تصيب الرجل والمرأة معًا، وقد أثبت الطب الحديث أن إتيان المرأة في دبرها له أضرار، حيث

(١) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية صـ٩١.

(٢) معونة أولي النهى، شرح المنتهى (منتهى الإرادات) لابن النجار ج٧ ص٣٧٦.

يسبب الإتيان في الدبر مرض الزهري، والتهاب الكبد الوبائي، والدوسنتاريا، والحساسية، ورضوض مختلفة في المستقيم وفتحة الشرج، والسيلان، والالتهاب الحبيبي والليمفاوي، والقرحة الرخوة، والدودة الدبوسية، والأمراض الفطرية، واللؤلؤة المعدية ونحو ذلك. (١)

وإتيان المرأة في دبرها يضرها ضررًا بالغًا؛ حيث يفوت حقها على زوجها في النكاح والاستمتاع الذي لا يحققه وطئها في دبرها، كما أن الوطء في الدبر يضر بالرجل أيضًا، ذلك أن للفرج عضلات قادرة على اعتصار قضيب الرجل المنتصب والعمل على الإنزال الكامل للمنى؛ فإذا لم يتم الإنزال الكامل للمني كما يحدث عندما يطأ الرجل زوجته في دبرها، فإنه يحدث احتقان شديد في غدة البروستاتا، مما يسبب آلامًا شديدة في منطقة العجان والخصيتين، زيادة على ضعف الانتصاب الذي يسببه الاحتقان. في حين أن الأمر غير ذلك عند إتيان المرأة في فرجها؛ حيث أن المهبل يفرز سائلاً يساعد على تشحيم الفرج والمهبل معًا، مما يساعد على عملية الإيلاج.

وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله – كثيرًا من الأضرار المترتبة على العدول عن الإتيان في الفرج إلى الدبر فقال : "... فالعادلون عنه – أي الفرج – إلى الدبر خارجون عن حكمة الله – تعالى – وشرعه جميعًا، وأيضًا فإن ذلك مضر بالرجل، ولهذا ينهى عنه عقلاء الأطباء من الفلاسفة وغيرهم؛ لأن للفرج خاصية في اجتذاب الماء المحتقن وراحة الرجل منه، والوطء في الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء ...، وأيضًا : فإنه يسود الوجه، ويظلم الصدر، ويطمس نور القلب، ويكسو الوجه وحشة تصير عليه كالسماء يعرفها من له أدنى فراسة، وأيضًا : فإنه يوجب النفرة والتباغض الشديد والتقاطع بين الفاعل والمفعول به ولابد، وأيضًا : فإنه يفسد حال الفاعل والمفعول فسادًا لا يكاد يرجى بعده صلاح إلا أن يشاء الله بالتوبة النصوح،

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د/ محمد كامل عبد الصمد صـ٣٩، ٤٠، الطب والإسلام، د/ عبد الحميد محمد عبد العزيز جـ٣، صـ٨٤، مؤسسة أخبار اليوم، الموسوعة الجنسية، د/ سليم حسن، صـ٦٤، دار أسامة للنشر والتوزيع.

وأيضًا فإنه يذهب المحاسن منهما ويكسوهما ضدها، كما يذهب بالمودة بينهما ويبدلهما تباغضًا وتلاعنًا. وأيضًا : فإنه من أكبر زوال النعم وحلول النقم .... . (١)

وقد أثبت الطب الحديث صحة ما ذهب إليه الإمام ابن القيم حيث بين الدكتور / محمد عبد الحميد شاهين أستاذ الفقاريات وعلم الأجنة المساعد بقسم العلوم البيولوجية كلية التربية بجامعة عين شمس في بحثه، حول العلاقة الجنسية بين الإسلام والطب دراسة نسيجية مقارنة بين المهبل والشرج، أن التركيب لكل من المهبل وقناة الشرج مرتبط ارتباطًا كليًا بالوظيفة المنوط به القيام بها فبطانة المهبل تختلف عن بطانة الشرج، والوسط الحامضي يختلف عن وسط قناة الشرج، والعضلات التي تساهم في حركة المهبل تختلف عن تلك التي تسبب الانقباضات في قناة الشرج، والألياف المرنة الكثيرة التي تسبب في مرونة المهبل لا توجد في الشرج، بمعنى أن المهبل مهيأ تمامًا لأداء وظيفته وهي استقبال عضو الجماع وكممر للولادة، بينما وظيفة الشرج الرئيسة هي المساهمة مع المستقيم في إخراج فضلات الطعام على هيئة براز، وسبحان الله كيف يستخدم ممر مهيأ لخروج الفضلات على هيئة براز كبديل لمكان آخر مهيأ لخروج خلق جديد. (٢)

إن المهبل كمستقبل لعضو الجماع به ما يؤهله للمحافظة على هذا العضو فسيولوجيًا وما يسهل عملية الإيلاج ويجعل للجماع كل أهدافه السامية التي تنتهي بتكوين خلق جديد بإذن الله تعالى.

يقول الدكتور محمد علي البار : "... وبما أن المصابين بالشذوذ الجنسي (اللواط) يقدرون في الولايات المتحدة بـ ١٨ مليونًا حسب آخر الإحصائيات، فإن عددًا كبيرًا منهم يعاني من الأمراض الجنسية، وكذلك ينتشر بينهم الهربس بصورة تبلغ

---

(١) زاد المعاد جـ٣، صـ١٤٩، ١٥٠، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة (١٣٧٩هـ)، المطبعة المصرية.

(٢) وطء المرأة في الموضع الممنوع منه شرعًا، د. طارق محمد الطواري، ص١٧٩، ١٨٠، وعن العلاقة الجنسية بين الإسلام والطب، دراسة نسيجية صـ٤٩٨، ٤٩٩، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة السادسة عشرة، العدد السابع والأربعون، رمضان ١٤٢٢هـ – ديسمبر ٢٠٠١م.

عدة أضعاف ما هي عليه عند الزناة، كما أن سرطان الشرج وقناة الشرج يحدث لدى هؤلاء الشاذين بصورة كبيرة بالمقارنة مع غيرهم من الزناة. (١)

كما أن هذه الأمراض الوبيلة تكثر في أفواه وحلوق وبلاعيم الشاذين جنسيًا لانتشار هذه الممارسات الشاذة بينهم، وذلك بالإضافة إلى إصابة القناة الشرجية والجهاز الهضمي".

ويقول الدكتور / محمد عبد الحميد شاهين : ومن أشهر الأمراض التي انتشرت في الآونة الأخيرة مرض الإيدز، ولقد أُثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن أحد أسبابه العلاقات الجنسية غير السوية (اللواط) بالإضافة إلى ذلك فقد يتسبب الإتيان في الدبر في تمزق وهتك أنسجتها، وارتخاء عضلاتها، وسقوط بعض أجزائها، مع فقدان السيطرة على المواد البرازية، وعدم الاستطاعة في التحكم فيها (لهتك وضعف العضلة العاصرة المتحكمة في البراز)، وقد ثبت أيضًا أن اللواط يؤثر في الأعصاب والمخ وارتخاء عضلات المستقيم وتمزقه، وانتقال عدوى الأمراض الخبيثة.

وقد أثبت الطب أن اللواط مناف لفسيولوجيا الجماع بين الزوج والزوجة، وفوق هذا وذاك فإنه طريقة غير كافية لإشباع العاطفة الجنسية لديهما، وذلك لأنها بعيدة الأصل عن الملامسة الطبيعية، ولا تقوم بإرضاء المجموع العصبي. (٢)

ويقول الدكتور البار فيما يخص التهاب القناة الشرجية(٣) **: "إن التهاب الشرج والقناة الشرجية نتيجة السيلان أمر شائع وغير نادر الحدوث في الغرب خاصة، وذلك بعد انتشار الشذوذ الجنسي، ويشكو المريض من آلام أثناء التبرز وتعنية وحكة في الشرج، مع وجود إفرازات صديدية، وحتى في الحالات التي لا يشكو فيها المريض أي أعراض، فإن القناة الشرجية تعاني التهابًا وإفرازات صديدية.**

الفرع الثالث: الأمراض التي تصيب الزوج بسبب الوطء في الدبر

---

(١) الأمراض الجنسية، د/ البار صـ٢٠٩.

(٢) وطء المرأة في الموضع الممنوع منه شرعًا، ص١٨٠، ١٨١. عن : العلاقات الجنسية بين الإسلام والطب، دراسة نسيجية ص٤٩٩.

(٣) الأمراض الجنسية، د. محمد البار، ص٢١٠، وطء المرأة في الموضع الممنوع منه شرعًا، ص١٨١، ١٨٢.

١- مرض الهربس الجنسي[١]:

هو مرض حاد جدًا يتميز بتقرحات شديدة حمراء اللون تكبر وتتكاثر بسرعة، ويسببه فيروس هربس مومنس (Herpes Homins)، ينتقل هذا المرض بالاتصال الجنسي إلى الأعضاء الجنسية أو الفم عند الشاذين، وتبدأ أعراضه عند الرجال بالشعور بالحكة، فتتهيج المنطقة، وتظهر البثور والتقرحات على مقدمة القضيب، والقضيب نفسه وعلى منطقة الشرج عند أهل قوم لوط.

٢- تآكل الأعضاء الجنسية المعدية :

يسبب هذا المرض فيروس يسمى فيروس بابيلوما (Papiloma Vievs) وينتقل من الأعضاء الجنسية في المصاب إلى السليم بواسطة الاتصال الجنسي، ويظهر أثر العدوى بعد مدة تتراوح بين (١ – ٩) أشهر.

وعلامات هذا المرض وجود ثآليل حمراء تغطي منطقة الأعضاء الجنسية في المصاب، فهي تظهر على مقدمة القضيب وعلى الجلدة المغطية لها وعلى القضيب نفسه.

ونسبة وجودها عند غير المختونين أكثر من المختونين، كما تظهر هذه الثآليل عند الشاذين الذين يستخدم معهم عمل قوم لوط على الشرج والمنطقة المحيطة به.

٣-الإيدز :

يقول الدكتور البار : "تنتشر الأمراض الجنسية في الشاذين بصورة مرعبة حقًا، يكادون ينفردون ببعض الأمراض، وأشهرها وأكثرها إثارة (الإيدز) أو (مرض فقدان المناعة المكتسبة) ... وخطورة هذا المرض أنه مميت في خلال عامين أو ثلاثة منذ ظهور الأعراض، وسببه نقص شديد في وسائل الدفاع الممثلة بصورة خاصة في الخلايا الليمفاوية من نوع (T٤) التي تقل في الدم.

ومن أخطر الآثار المترتبة على وطء المرأة في دبرها ما ذكره الدكتور/النسيمي في كتابه[٢]: (أن ذلك يؤدي لتوسعة الشرج وارتخاء المعّيرة الشرجية، وقد يصاب بسلس غائطي، أي يخرج البراز بشكل لا إرادي، وقد يُصاب بالانعكاس النفسي) لانعكاس الوطء من الوضع الطبيعي إلى الشذوذ.

---

(١) وطء المرأة في الموضع الممنوع منه شرعًا، صـ١٨١.

(٢) الطب النبوي والعلم الحديث، د. محمد ناظم النسيمي ج٢ ص١٣٢.

ويقول الدكتور البار[1] : "... وفي الحالات التي يتم فيها الجماع عن طريق الشرج (في الذكور والإناث) فإن القناة الشرجية تلتهب التهابًا شديدًا مع وجود إفرازات قيحية دموية يصحبها نزيف في بعض الأحيان، وقد تتحول هذه الالتهابات المزمنة إلى سرطان، ويكون غشاء القناة الشرجية محتقنًا متقرحًا مليئًا بالبثور الصديدية الدموية، وتظهر الخراريج كما تحدث نواسير بين المستقيم والمهبل أو القناة الشرجية والمهبل.

لهذا ولغيره سد الإسلام كل المنافذ التي تجعل الرجل ينحرف جنسيًا حفاظًا على صحته ونسله، ولذا حرم وطء المرأة في دبرها، وقد جاء النهي صراحة في السنة النبوية علاوةً على الأمراض التي تصيب الرجل والمرأة على حد سواء، فالتوازن الذي أوجده الله تعالى في جسم الإنسان بين الأجهزة المختلفة ووظيفة كل جهاز، والملاءمة بين الوظيفة والتركيب ليس عشوائيًا، إنما كل عضو له تركيب نسيجي معين مرتبط بوظيفة معينة.

إلا أن إنسان العصر كسر هذا التوازن، وخالف الفطرة التي فطرنا الله عليها، وغير وظيفة الأعضاء، فالخروج على الفطرة السوية يعود بالشر الوبيل على الفرد والمجتمع، وحتى لو نجح العلماء في إيجاد علاج للأمراض الجنسية المعاصرة فلن يغير هذا العلاج من شيء في القواعد الأساسية لديننا الحنيف، وسيظل الخروج عنها خروجًا عن الفطرة الإنسانية السوية.[2]

الفرع الرابع :العوامل التي تؤدي إلى علاقة جنسية سوية تحقق الرضا للزوجين

إن من ضمانات نجاح الزواج من الناحية الجنسية، أن الإسلام لا يعتبر العلاقة الجنسية الحلال عملاً مكروهًا أو مستنكرًا أو خلاف الأولى، بل على العكس من ذلك يعتبرها عبادة يؤجر عليها الزوجان، إذ يقول المصطفى ﷺ : "... وفي بضع أحدكم صدقة!" قالوا : يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال :

(١) الأمراض الجنسية، د. محمد البار، ص٣٧١.

(٢) لهذا كله ولغيره كان تناول الدواء للوطء في الدبر محرم شرعًا، لأن للشيء حكم غايته، وما أدى إلى الحرام فهو حرام.

"أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذ وضعها في الحلال كان له أجر".(١)

كما يوصي الإسلام بالملاطفة والملاعبة واستثارة الشهوة قبل الجماع؛ فيقول ﷺ : "لا يقعن أحدكم على امرأته كما يقع البعير، وليكن بينهما رسول. قيل : وما الرسول ؟ قال : "القبلة والكلام".(٢)

وإليك العوامل التي تؤدي إلى علاقة جنسية سوية تحقق الرضا للزوجين :

١- التوازن الهرموني المناسب : التوازن الهرموني والحالة النفسية بينهما علاقة وثيقة، وتؤثر الحالة النفسية على التوازن الهرموني، كما يؤثر التوازن الهرموني والحالة النفسية للمرأة على استعدادها للقيام بوظائفها الإنجابية، والجنسية بصورة طبيعية.

٢- التروية الدموية الطبيعية التي تتأثر بصورة شديدة في حالة استئصال الأعضاء التناسلية الظاهرة.

٣- التوازن النفسي والاجتماعي.

٤- سلامة الجهاز العصبي والحسي.

٥- تكامل الأعضاء التناسلية : إن وجود الأعضاء التناسلية الظاهرة كاملة وهي البظر(٣) **وهو أكثر أعضاء المرأة حساسية، والشفران الصغيران**(٤)**، واللذان**

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر، كتاب الزكاة، باب : بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، جـ٢ / صـ٦٩٧، حديث رقم (٥٣).

(٢) مسند أبي يعلي عن أنس بن مالك جـ٧ / صـ٢٠٨، حديث رقم (٤٢٠١)، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، تحقيق حسين سليم أسد، والأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها، قال حسين سليم : إسناده ضعيف. قال الشيخ الألباني : ضعيف.
يراجع : صحيح وضعيف الجامع الصغير للألباني جـ١ / صـ١٤٧، الناشر المكتب الإسلامي.

(٣) البظر : هو عضو مشابه للعضو الذكري طوله من ١ - ٣ سم عند البلوغ، يقع على الخط المتوسط أعلى فتحة القناة البولية مباشرة، ويتكون من جسمين ناعظين، كل منهما يتصل بالارتفاق العاني على أحد جانبيه، ثم القلفة وهي تحتوي على نهايات أعصاب حسية كما أنها مغطاة جزئيًا بالشفرين الصغيرن.

(٤) الشفران الصغيران، وهما : طيتان صغيرتان مستطيلتان تقعان بين الشفرتين الكبيرتين ومدخل المهبل، ويوجد بهما كثير من النهايات العصبية والأوعية الدموية التي تزيد من الإحساس الجنسي أثناء الجماع.

عند إثارتهما أثناء العملية الجنسية يؤدي احتقانهما إلى زيادة الشعور بالنشوة لدى المرأة، والشفران الكبيران[1] واللذان يخدمان كوسادتين لينتين تجعل الإيلاج مريحًا للطرفين، وغدد بارثولين التي تفرز مادة ملينة عند الاستثارة، إن كل ذلك يسهل عملية الجماع وهو هام جدًا لعلاقة زوجية ناجحة؛ لذا فإن استئصال أي جزء أو أجزاء منهما يؤدي إلى تأثر العلاقة الزوجية بدرجة كبيرة.[2]

الفرع الخامس: مراحل العملية الجنسية :

تمر العملية الجنسية بمراحل متتالية، وهي عملية معقدة تتدخل فيها عوامل كثيرة وحواس مختلفة، مثل : البصر والشم والسمع، ولكن كل ذلك يصب في المخ، حيث إن المخ يحتوي على المراكز المسئولة عن إثارة الرغبة الجنسية وتصعيدها إلى مستوى الاستثارة والاستعداد لممارسة الجماع أو تثبيطها وإنهائها.

توجد هذه المراكز في منطقة تسمى القشرة الحوَّفية، وهي المسئولة عن التحكم في السلوك، وتتصل بمراكز المخ العليا، حيث تُختزن في الذاكرة خبرات التعلم والتنشئة الاجتماعية، كما تتصل بمراكز الحواس والانفعالات. فإذا كانت الظروف مواتية عاطفيًا واجتماعيًا وتمت الاستثارة الجنسية، يُرسل المخ إشارات لبقية الجهاز العصبي الذي يتحكم في الأوعية الدموية، فيحدث احتقان بالأعضاء الداخلية بالحوض والأعضاء التناسلية الظاهرة.

تستمر هذه التحولات إلى أن تصل إلى القذف بالنسبة للرجل، والحصول على لذة الارتواء بالنسبة للمرأة، وبعدها يحدث ارتخاء. وعلى هذا فإن مراحل العملية الجنسية تمر بالمرحل التالية :

١- مرحلة الإثارة والمداعبة.

---

(١) الشفران الكبيران : وهما طيتان مستطيلتان من الجلد على جانبي الفرج وهما أكثر الأعضاء التناسلية بروزًا للخارج. راجع في ذلك عادة تشوه الأعضاء التناسلية للإناث صـ١٦.

(٢) نحو رؤية بديلة متكاملة للقضاء على عادة تشوه الأعضاء التناسلية للإناث، صـ٤٠، ٤١، د/ أحمد رجاء عبد الحميد رجب، أستاذ مساعد وخبير أبحاث الصحة الإنجابية، جامعة الأزهر، مراجعة وتحرير أستاذنا الأستاذ الدكتور / جمال أبو السرور مدير المركز الدولي الإسلامي، والخبير الدولي في الأخلاقيات الطبية، جامعة الأزهر، قدم له فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر، القاهرة، طبعة ٢٠٠٦م.

٢- مرحلة الاحتقان والتوتر الجنسي.
٣- مرحلة لذة الارتواء (النشوة الكاملة).
٤- مرحلة الاسترخاء. (١)

أولاً : مرحلة الإثارة والمداعبة :

هذه المرحلة قد يسبقها أو يتزامن معها مرحلة الرغبة، وهي تساعد الجسم أن يتهيأ للمعاشرة، وتساعد الرجل في الوصول إلى الانتصاب الكامل للإيلاج وتساعد المرأة على تهيئة أعضائها من احتقان ونزول إفرازات تسهل عملية الإيلاج فيما بعد، فينتصب البظر ويحتقن الشفران الصغيران والكبيران وتفرز غدد بارثولين الإفرازات.

ثانيًا : مرحلة الاحتقان أو التوتر الجنسي : (٢)

يحدث في هذه المرحلة التغيرات التالية :

- **تغيرات عامة، مثل : زيادة النبض والضغط، وسرعة التنفس، وزيادة إفرازات الجسم، مثل : العرق واللعاب والغدد الحسية.**
- **تمدد في الأوعية الدموية يبدأ بين الفخذين، ويستمر صعودًا حتى يصل إلى الوجه، ويترتب على ذلك زيادة في حرارة الجسم.**
- **انقباض في عضلات الجسم، وخاصة العضلات المستخدمة أثناء المعاشرة الجنسية، مثل : عضلات الظهر والفخذين والحوض.**
- **تزداد إفرازات الأعضاء التناسلية من جدار المهبل، وتزداد سيولة مخاط عنق الرحم.**
- **تمدد الأعضاء التناسلية الظاهرة، وزيادة تدفق الدم أليها مما يكسبها لونًا ورديًا أو أحمر قانيًا مع انتصاب العضو الذكرى عند الرجل والبظر عند المرأة.**
- **تمدد المهبل وانتفاخه ليستوعب القضيب المنتصب.**

ثالثًا : مرحلة هزة الجماع (النشوة الكاملة) : (٣)

وهي قمة المراحل السابقة، وهناك عوامل هامة تساعد في الوصول إليها، وأهمها تكامل الأعضاء التناسلية، حيث إن وجود الأعضاء التناسلية كاملة عند المرأة

---

(١) نحو رؤية بديلة متكاملة للقضاء على عادة تشوه الأعضاء التناسلية للإناث، ص٤٠.
(٢) المرجع السابق، نفس الموضع المشار إليه.
(٣) نحو رؤية بديلة متكاملة للقضاء على عادة تشوه الأعضاء التناسلية للإناث، ص٤٠ – ٤٣.

تساعد على الوصول إلى هذه المرحلة بسهولة؛ حيث يحتوي كل من رأس القضيب والبظر على جُسَيْمات عصبية ومستقبلات حسية وعلى شُعَيْرات دموية يساعد تمددها على زيادة الحساسية، وزيادة انتصاب كل من القضيب والبظر.

تظهر هذه المرحل في شكل انقباضات لا إرادية متتالية يشعر بها الرجل والمرأة (هزة الجماع) كما أن الرجل يقذف السائل المنوي.

رابعًا : مرحلة الارتخاء : [1]

هذه المرحلة تلي لذة الارتواء مباشرة، وفيها تعود الأعضاء التناسلية إلى حجمها الطبيعي تقريبًا بعد التمدد الذي حدث في المرحلة السابقة، وينتهي احتقان منطقة الحوض.

ومما سبق نستنتج ما يلي :

- تبدأ الرغبة الجنسية في المخ ثم تمتد من المخ إلى الأعضاء التناسلية، من خلال إشارات عصبية ترسل إلى الأعضاء التناسلية، ومن خلال بعض الهرمونات التي يفرزها لتنبيه المبيضين عند المرأة والخصيتين عند الرجل وإفرازهما هرمونات الأنوثة والذكورة.
- تقوم الأعضاء التناسلية الخارجية (وخاصة البظر ورأس القضيب) بالدور الرئيس في إتمام عملية المعاشرة الجنسية التي تتسم بالاستمتاع الذي خلق الله هذه الأعضاء لتحقيقه لكلا الجنسين.
- كثرة وجود الجسيمات العصبية في النهايات الحسية في الأعضاء التناسلية الخارجية للمرأة والتي خلقها الله لتؤدي وظائف هامة خاصة الشعور باللذة الجنسية.
- غزارة تغذية الأعضاء التناسلية الخارجية بالدم له وظيفة هامة، إذ يساعد على تمدد الأعضاء الخارجية وزيادة الإفرازات التي تساعد على تهيئة المكان لحدوث اللذة الجنسية للذكر والأنثى.

(١) المرجع السابق، نفس الموضع المشار إليه.

المطلب الثانى : التعدي بالتسبب في المرض بالجماع أثناء الحيض

تمهيد :جعل الله تبارك وتعالى المرأة مكانًا لنسل الرجل، وأحل له إتيانها في جميع الأوقات إلا في بعض حالات تكون فيها المرأة متلبّسة بالعبادة كحالة الإحرام، والاعتكاف، والصيام، أو في حالة الطمث (الحيض) وهي حالة تشبه المرض الحسي؛ لأنها حالة إلقاء "البويضة الإنثوية" التي لم تلقح من رحم المرأة، وغالبًا ما تصحبها الآلام وتكون المرأة غير مستعدة نفسيًا لهذه المباشرة الجنسية، التي يقصد بها استمتاع كل من الزوجين بالآخر.

ودم الحيض له رائحة كريهة بخلاف سائر الدماء وذلك؛ لأنه من الفضلات التي تدفعها الطبيعة، وهو دم فاسد، ثخين، محتدم شديد الحمرة – كما يعرفه الفقهاء – ورؤية الدم تنفر بالطبع، وتشمئز منها النفس، فكيف إذا اجتمعت معه هذه الأوصاف الخبيثة ؟! فإتيان المرأة في مثل هذه الحالة، فيه ضرر عظيم يلحق بالمرأة، كما أن فيه ضرر على الرجل أيضًا، عبر عنه القرآن الكريم الدقيق بـ "قُلْ هُوَ أَذًى "[1]وأي تعبير أبلغ من هذا التعبير المعجز ؟! وقد أثبت "الطب الحديث" الضرر الفادح الذي يلحق المرأة من جراء معاشرتها وإتيانها في حالة الطمث، فكثيرًا ما يختلط المنى المقذوف من الرجل بهذه الدماء، ويتولد عن ذلك التهابات في عنق الرحم أو في الرحم نفسه، أو يتعرض الجنين للتشوه – إن قدر هناك حمل –، كما أن الرجل يتعرض لبعض الأضرار الجسمية، وسوف أحاول خلال هذه السطور كشف النقاب عن موقف أهل الطب والشرع من إتيان المرأة في زمن الحيض

الفرع الأول :
تعريف الحيض عند أهل الشرع والطب

أولاً : التعريف بالحيض :

(١) سورة البقرة وسط الآية (٢٢٢).

الحيض في اللغة : سيلان الدم مطلقًا، وقد ورد في لسان العرب : حاضت المرأة تحيض حيضًا، أو محيضًا فهي حائض. (١)

وقال الجوهري(٢) **: "والحيضة (بفتح الحاء) المرة الواحدة، والحيضة (بالكسر) الخرقة التي تستثفر** (٣) **بها المرأة".**(٤)

ويقال حاضت الشجرة إذا سال صمغها، وحاض الوادي : إذا سال ماؤه وفاض. وجمع الحائض : حيض، مثل : راكع وركع. وجمع الحائضة حائضات، مثل : قائمة وقائمات. (٥)

وللحيض أسماء كثيرة، قال ابن خالويه (٦)**: يقال : حاضَتْ، ونَفِست، ونُفست، ودَرَسَتْ، وطَمِست، وضَحِكَتْ، وكادَت، وأكْبَرت، وصامَتْ.** (٧)

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٤٢/٧، ١٤٣، دار صادر للطباعة والنشر، طبعة ١٣٧٥هـ / ١٩٦٥م.

(٢) الجوهري (أبو نصر) إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي، لغوي، أديب، ذو خط جيد، أصله من بلاد الترك من فاراب، رحل إلى العراق، والحجاز، من تصانيفه : تاج اللغة وصحاح العربية.
معجم المؤلفين (٢٦٧/٢)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ١٤٢/٣، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان.

(٣) تستثفر : أي ترد الخرقة بين رجليها وتشدها على فرجها، لتمنع نزول الدم. معالم السنن للخطابي ١٨٨/١، مطبوع مع سنن أبي داود، طبعة دار الحديث، حمص، سوريا.

(٤) الصحاح للجوهري، مادة : (حيض) ١٥٨/١

(٥) المصباح المنير للفيومي صـ١٥٩، طبعة المكتبة العلمية، مختار الصحاح للرازي صـ١٦٥، طبعة مؤسسة علوم القرآن ومكتبة النووي، دمشق، سوريا، القاموس المحيط للفيروزآبادي، جـ٢ صـ٣٤١، طبعة دار الجيل.

(٦) ابن خالويه : الحسين بن أحمد بن خالويه، النحوي، الهمداني، نزل حلب وأخذ من علماء بغداد، كان إماميًا عالمًا بالمذهب، وله تصانيف في اللغة، والفراسة، وغيرهما. توفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وقيل في التي قبلها.
لسان الميزان، جـ١ صـ٣١٦.

(٧) لسان العرب ١٤٢/٧.

ثانيًا : الحيض في الاصطلاح :

عرف الفقهاء الحيض بتعريفات متقاربة، لا تخرج عن كون الحيض دم جبلة يخرج من رحم المرأة عن طريق الفرج، ليس عن مرض أو ولادة، ويستدل به على سلامة الجسم، واستعداده للإنجاب.

فالحيض عند السادة الأحناف : هو دم ينفضه رحم بالغة لا داء بها ولا حبل ولا إياس. (١)

وعرفه السادة المالكية بأنه : الدم الخارج من فرج المرأة التي يمكن حملها عادة، من غير ولادة ولا مرض، ولا زيادة على الأمد. (٢)

وعرفه السادة الشافعية : قالوا : الحيض هو : دم جبلة – أي تقتضيه الطباع السليمة – يخرج من أقصى رحم المرأة بعد بلوغها على سبيل الصحة من غير سبب في أوقات معلومة. (٣)

وعرفه السادة الحنابلة : قالوا : الحيض : دم طبيعة يخرج مع الصحة من غير سبب ولادة، من قعر الرحم، يعتاد أنثى إذا بلغت في أوقات معلومة. (٤)

ثالثًا : تعريف علم الطب للحيض :

قال العلماء المختصون : إن الحيض عبارة عن إفراز دموي لدم يمتزج بالمخاط، وخلايا بالية تساقطت من الغشاء المخاطي المبطن للرحم، فهي إحدى العمليات الطبيعية، وظاهرة وظيفية للجهاز التناسلي للأنثى. (٥)

---

(١) شرح فتح القدير للكمال بن الهمام ١١١/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان

(٢) قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية لابن جزي الغرناطي المالكي، صـ٥٤، طبعة دار العلم للملايين، بيروت.

(٣) مغني المحتاج للشربيني ١٠٨/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، حاشية الجمل، للشيخ سليمان الجمل ٢٣٤/١، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

(٤) كشاف القناع على متن الإقناع للبهوتي، ١٩٦/١، ٢٠٢، ٢٠٣، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، الإقناع ٦٣/١.

(٥) الموجز الإرشادي عن أمراض النساء، د/ جوزفين بارنز، وجيوفري شاميرلين، ترجمة د/ حافظ والي، صـ١١٩.

الأنثى : د/ أحمد محمد كمال، صـ٤٤، دار الجيل للطباعة، الفجالة، البدائل الربانية في علاج الأمراض النسائية صـ٤٣، د/ إلهام محمد إبراهيم.

يتبين لنا مما سبق : أنه لا يوجد تعارض بين تعريف كل من اللغة والشريعة والطب لماهية الحيض وجوهره، بل إن التعريفات الثلاثة تتكامل فيما بينها تكاملاً ملحوظًا.

الفرع الثانى

الأصل في تحريم إتيان المرأة في المحيض، والحكمة من تحريم جماع الحائض

أولاً : الأصل في تحريم إتيان المرأة في المحيض :

الأصل في ذلك الكتاب والسنة والإجماع :

أما القرآن فبقوله :" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ "

وجه الاستدلال بالآية :أن الله عز وجل نهى عن قربان الحائض، ونبه على المعنى، وهو كون المحيض أذى، والأذى هو ما يؤذي به من مكروه فيه، وهو في هذا الموضع يسمى أذى لنتن ريحه ونجاسته، فدل ذلك على أن الجماع في زمن الحيض محرم.(١)

ومن السنة :

ما روته السيدة عائشة – رضي الله عنها – أن فاطمة بنت حبيش كانت تستحاض فسألت النبي – – فقال : "ذلك عرق (٢) وليست بالحيضة فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغتسلي وصلي".(٣)

وجه الدلالة :

هذا الحديث فيه دلالة على تحريم إتيان المرأة زمن الحيض ورد المستحاضة إلى صفة الدم بأنه إن كان بتلك الصفة فهو استحاضة وليس بحيض. (٤)

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٣٧٤/٤، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، بدائع الصنائع ٤٧٥/١٠.

(٢) عِرْق : (بكسر العين وسكون الراء) أي : دم عرقن يريد أن ذلك عله حدثت بها من تصدق العروق فانفجر الدم، وليس بدم الحيض الذي يقذفه الرحم لميقات معلوم. عون المعبود ٣٢٥/١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب إقبال المحيض وإدباره جـ١ صـ١٢٢، حديث رقم (٣١٤).

(٤) عون المعبود ٣٣١/١.

وأما الإجماع : فقد أجمعت الأمة سلفًا عن خلف على تحريم جماع المرأة في زمن الحيض.

الفرع الثالث: الحكمة من تحريم وطء الحائض:

إن ما قرره العلم الحديث بعد بحوثه التجريبية التي أجراها مؤخرًا بالإضافة إلى ما أكدته التقارير العلمية فيما يتصل بالأضرار العضوية والفسيولوجية التي تصيب الرجل والمرأة بسبب الجماع في زمن الحيض، لهو دليل على إعجاز القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنًا، وإليك الحكمة من تحريم وطء الحائض. (١)

توصل العلماء إلى بعض ما في القرآن من أسرار وحكم، وأكد لنا الأطباء الأجلاء الأضرار المترتبة على جماع الحائض، وقدموا لنا أبحاثًا قيمة تبين لنا هذه الأخطار الجسيمة التي تصيب الرجل والمرأة من جراء التقائه بها أثناء وجود دم الحيض نذكر منها ما يلي :

١- يحدث للرحم أثناء الحيض تقرح وانسلاخ وتقل مقاومته للميكروبات الغازية؛ لأن الدم يساعد على تكاثر الميكروبات ونموها، كما أن مقاومة المهبل لغزو البكتريا تصبح في أدنى مستوى لها، إذ يقل إفراز المهبل للحامض الذي يقتل الميكروبات، ويرق جدار المهبل ... وتمتد الالتهابات إلى قناتي الرحم فتسدها أو تؤثر على شعيراتها الداخلية التي لها دور كبير في دفع البويضة من المبيض إلى الرحم، مما يؤدي إلى العقم، أو الحمل خارج الرحم، وهو أخطر أنواع الحمل على الإطلاق. (٢)

٢- امتداد الالتهاب إلى قناة مجرى البول، فالمثانة، فالحالبين، فالكلى، مما يسبب أمراضًا خطيرة ومزمنة في الجهاز البولي. (٣)

---

(١) دورة الأرحام، د/ محمد علي البار، ٥٠، ٥١، الدار السعودية للنشر بجدة، الطبعة الخامسة.

(٢) هذه الحكم استثنائية فيما استطاع البشر أن يدركوه؛ لكن الحكمة عند الله لا تحد بتعليل العقل؛ لأن حكمة كل تكليف عند من صنعه، ومادام الحق هو الكمال المطلق، وكماله لا يتناهى. إذن له حكم لا تتناهى في الأمر أو النهي، وإنني استأنس أن تكون هذه بعض الحكم والله أعلم وأحكم.

(٣) الحيض وأحكامه، د/ سهير فؤاد إسماعيل ص٢٥٧.

٣- ازدياد الميكروبات في دم الحيض وخاصة ميكروب السيلان [١]

٤- يصاحب الحيض آلام وأوجاع في أسفل البطن، وبعض النساء تكون آلامهن فوق الاحتمال مما يستدعي استعمال أدوية ومسكنات، ومنهن من يحتجن إلى زيارة الطبيب.

٥- تصاب كثير من النساء بحالة من الكآبة والضيق أثناء الحيض، وخاصة عند بدايته، وتكون المرأة عادة متقلبة المزاج سريعة الاهتياج، قليلة الاحتمال، كما أن حالتها العقلية والفكرية تكون في أدنى مستوى لها أثناء الحيض. [٢]

٦- تصاب بعض النساء بالصداع النصفي (الشقيقة) قرب بداية الحيض، وتكون الآلام مبرحة وتصحبها زغللة في الرؤيا وقيء.

٧- تقل الرغبة الجنسية لدى المرأة وخاصة عند بداية الطمث، بل أن كثيرًا من النساء يكن عازفات تمامًا عن الاتصال الجنسي أثناء الحيض، ويملن إلى العزلة والسكينة، وهو أمر فسيولوجي طبيعي، إذ أن فترة الحيض هي فترة نزيف دموي من قعر الرحم (الغشاء المبطن للرحم من الداخل) وتكون الأجهزة التناسلية بأكملها في حالة شبه مرضية، فالجماع في هذه الآونة ليس طبيعيًا، لا يؤدي إلى وظيفة، بل على العكس يؤدي إلى كثير من الأذى.

٨- تنخفض درجة حرارة الجسم، ويبطئ النبض وينخفض ضغط الدم، فيسبب الشعور بالدوخة والفتور والكسل، ونتيجة لذلك يقل إنتاج الطاقة من الجسم، كما تقل عمليات التمثيل الغذائي.

هذا ... ولا يقتصر الأذى على الحائض في وطئها، وإنما ينتقل الأذى إلى الرجل الذي وطئها أيضًا ... فإدخال القضيب إلى المهبل المليء بالدماء يؤدي إلى تكاثر الميكروبات، والتهاب قناة مجرى البول لدى الرجال، وتنمو الميكروبات السبحية

---

(١) خلق الإنسان، د. البار، صـ١٠٢.

(٢) إذا تأملت في هذه العوارض التي تعرض للمرأة أثناء الحيض أدركت شيئًا من الحكمة في تحريم الشريعة الإسلامية للطلاق أثناء الحيض.

والعنقودية على وجه الخصوص في مثل هذه البيئة الدموية، وقد ذكر الدكتور محمد علي البار أهم الأضرار التي تصيب الرجل فقال :

- **إن الأذى لا يقتصر على الحائض في وطئها، وإنما ينتقل الأذى إلى الرجل الذي وطأها أيضًا، مما يؤدي إلى إصابة أعضاءه التناسلية بالتهابات حادة، إذ تمتد الجراثيم إلى داخل القناة البولية، وتنمو الميكروبات.**
- **تنتقل الميكروبات من قناة مجرى البول إلى البروستاتا والمثانة، والتهاب البروستاتا سرعان ما يزمن لكثرة قنواتها الضيقة الملتفة، والتي نادرًا ما يصلها الدواء بكمية كافية لقتل الميكروبات المختفية في تلافيفها، فإذا ما أزمن التهاب البروستاتا فإن الميكروبات سرعان ما تغزو بقية الجهاز البولي والتناسلي، فتنتقل إلى الحالبين، ومنه إلى الكلى.**
- **قد ينتقل الميكروب من البروستاتا إلى الحويصلات المنوية فالحبل المنوي، فالبربخ، فالخُصيتين، وقد يسبب ذلك عقمًا نتيجة انسداد قناة المنى، أو التهاب الخصيتين، هذا فضلاً عن الشعور بالألم الذي لا يطاق.**
- **أن جماع الحائض يسبب اشمئزازًا لدى الرَّجل وزوجته على السواء بسبب وجود الدم ورائحته، وبالتالي قد يؤثر على الزوج فيصاب بالبرود الجنسي (العُنة).**
- **وجماع النفساء له نفس أضرار الحائض، يضاف له عدم شعور كل من الزوجين باللذة بسبب تمدد جوف المهبل خلال الولادة، وقد ظهر بحث حديث قدمه البروفسور عبد الله بإسلامة إلى المؤتمر الطبي السعودي السادس جاء فيه : أن الجماع أثناء الحيض قد يكون أحد أسباب سرطان عنق الرحم ويحتاج الأمر إلى مزيد من الدراسة للتأكد من ذلك.** (١)

يقول الدكتور / محمد بكر إسماعيل : والحكمة من نهي الله تعالى الرجل عن وطء المرأة في أثناء الحيض والنفاس فوق ما يترتب عليه من (أذى) هو تعويد الرجل على الصبر على بعد المرأة عنه مدة من الزمن، إذ أن الرجل كثيرًا ما تدعوه أعماله الخاصة

(١) خلق الإنسان، د. البار، صـ١٠١، دورة الأرحام للمؤلف نفسه صـ٥٩، الإعجاز الطبي في القرآن والسنة، محمد داود الجزائري، صـ١١٧، دار مكتبة الهلال.

إلى السفر والتغيب عن أهله ... ففي التحريم رحمة به، وتقوية لعزيمته، ولعل ذلك كحكمة الصيام في تدريب المرء على الصبر والجوع واحتمال قلة الطعام، أو عدمه في سفره وترحاله، وما قد يلاقيه في أثناء حياته، والمنع في الحالتين تعويد للجسم على احتمال الطوارئ حتى لا يفاجأ البدن بما لا يتدرب عليه، ولا تؤخذ النفس على غرة منها. (١)

هذا موجز للأذى الذي يصيب كلاً من المرأة والرجل إذا خالفا الأوامر الإلهية، وصدق الله العظيم إذ يقول:" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ"

كما يتبين لنا الإعجاز العلمي في الإسلام، سواء ما جاء في القرآن الكريم، أو السنة المطهرة، من منعه لوطء المرأة في أثناء الحيض، وهو ما قرره العلم الحديث بعد بحوثه التجريبية التي أجراها مؤخرًا بالإضافة إلى ما أكدته التقارير العلمية فيما يتصل بالأضرار العضوية والفسيولوجية وبذلك يتفق رأي الطب مع الفقه وهو ما نسعى لتحقيقه في هذا البحث المتواضع. (٢)

---

(١) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية عن الأمراض النسائية والصحة الإنجابية، ص٣٤، كتب المادة الطبية : أ.د. محمد نبيل يونس، أستاذ التوليد وأمراض النساء بجامعة الأزهر، د. أحمد رجاء عبد الحميد رجب، أستاذ مساعد الصحة الإنجابية بجامعة الأزهر، راجع المادة الطبية أستاذنا : أ.د. جمال أبو السرور، أستاذ التوليد وأمراض النساء، مدير المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر، الطبعة الثالثة، الحيض وأحكامه صـ١٠٩، نقلاً عن كتاب القرآن والطب، د/ محمد بكر إسماعيل

(٢) نرى أنه بالرغم من تقدم العلم الحديث، وما توصل إليه العلماء من خلال الدراسات العلمية، إلا إنهم لم يتوصلوا إلى جميع الأذى الذي أشارت إليه الآية الكريمة، وما يقوم به العلماء من أبحاث تكشف لنا باستمرار شيئًا جديدًا، ولكنها بالنسبة لعلم الله تعالى قليلة، يقول سبحانه : "وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" سورة الإسراء، جزء الآية (٨٥).

من الممارسات الشاذة فاحشة اللواط[١]

اللواط في اللغة:

مأخوذ من لاطَ الرجل لواطًا ولاوط أي عمل عمل قوم لُوطٍ. [٢]

اللواط في الاصطلاح :

عرفه السادة الحنفية بأنه : إتيان الذكر في دبره[٣] أو إتيان المرأة في الموضع المكروه وهو الدبر. [٤]

وعند السادة المالكية : إتيان الذكور في أدبارهم. [٥]

وزاد الشيخ عليش[٦] التعريف إيضاحًا ببيان القدر الذي يتحقق به اللواط فقال :

---

(١) لم يتفق العلماء على تصنيف اللوطي على أنه مريض، لكن الأغلبية تعتبره كذلك، ومع مخاطر اللواط الكثيرة من حيث نقل الأمراض والاعتداء على الأطفال وهدم البناء الأسري، إلا أن هذه الممارسة تنتشر في الغرب بلا حرج، وتعرض شاشات التلفاز هناك من حين لآخر حفل زفاف رجل برجل، وسبحان الله كانت هذه الفئة أول من ظهر فيها مرض الإيدز.
الطبيب وكشف الجريمة، د/ السباعي حماد، أستاذ بكلية الطب، جامعة عمر المختار، ليبيا، ٢٠٠٤م.

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ٥ صـ٤٠٩٨، طبعة دار المعارف.
قال الليث : لُوط كان نبيًا بعثه الله إلى قومه فكذبوه، وأَحدثوا ما أحدثوا، فاشتق الناس من اسمه فعلاً لمن فَعَل فِعْل قومِه ولوط اسم ينصرف مع العُجْمة والتعريف. المصدر السابق، نفس الموضع المشار إليه.

(٣) الدبر (بضم الدال والباء ويجوز سكون الباء) مؤخر الشيء، والمراد هنا : مخرج الغائط من الإنسان والحيوان.
معجم لغة الفقهاء صـ٢٠٦، أ.د/ محمد رواس، د/ حامد صادق، دار النفائس.

(٤) اللباب في شرح الكتاب للغنيمي الميداني جـ٣ صـ٦٦، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤م.

(٥) الفواكه الدواني للشيخ أحمد بن غنيم النفراوي، على رسالة ابن أبي زيد القيرواني جـ٢ صـ٢٨٦، طبع ونشر البابي الحلبي، الطبعة الثالثة ١٩٥٥م.

(٦) الشيخ عليش : هو الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله، مغربي الأصل، ولد بالقاهرة، وتعلم بالأزهر، وولى مشيخة المالكية فيه، وله شرح على المختصر، وشروح على =

اللواط "إدخال الحشفة[١] في دبر ذكر".[٢]

وعند السادة الشافعية : اللواط هو الوطء في دبر الذكر ولو عبده أو في دبر الأنثى.[٣]

وعند السادة الحنابلة : اللواط نوع من الزنا؛ بل هو أفحش، ولهذا جاء تعريف الزنا شاملاً للواط.

ففي المبدع: الزنا فعل الفاحشة في قبل أو دبر.[٤]

اللواط عند أهل الطب:

هو الجماع الشرجي سواء كان الملوط به ذكرًا أو أنثى.[٥]

نخلص مما سبق أن اللواط هو الوطء في الدبر وإن زاد بعض الفقهاء قيودًا تزيد التعريف وضوحًا؛ فالتعريف الذي نخلص إليه ونرتضيه من التعريفات السابقة أن اللواط هو:

(إدخال الحشفة أو قدرها من مقطوعها في دبر ذكر أو أنثى).

=مجموع الأمير، ولد سنة (١٢١٧) وتوفي سنة (١٢٩٩). وهو بكسر (العين المهملة في أوله واللام في ثانيه) ولا يقال بضم ففتح على التصغير. الأعلام للزركلي جـ٦ صـ١٩، ٢٠، دليل السالك للمصطلحات والأسماء في فقه الإمام مالك، د / حمدي عبد المنعم شلبي، صـ١١٣، تراجم مصنفي الكتب العربية لعمر كحالة جـ٩ صـ١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١) الحشفة هي القسم المكشوف من رأس الذكر بعد الختان. معجم لغة الفقهاء صـ١٨٠.

(٢) تقريرات الشيخ عليش على الشرح الكبير بهامش حاشية الدسوقي جـ٤ صـ٣١٤، طبعة دار إحياء الكتب العربية.

(٣) حاشية الباجوري جـ٢ صـ٣٣٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

(٤) شرح منتهى الإرادات ١١٤/١١، المبدع في شرح المقنع لابن مفلح جـ٩ صـ٦٠، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٩م.

(٥) الأمراض التناسلية بين الطب والدين، د/ غازي عبد اللطيف موسى صـ٢٢، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٧م.

لدفع التوهم الوارد في أكثر التعريفات من قصر اللواط على وطء الذكران، فكان هذا التعريف لبيان أن الوطء في دبر الأنثى له حكم الوطء في دبر الذكر فهما في الحرمة سواء

بيان أسماء اللواط الأخرى :

لهذا العمل القبيح عدة أسماء يعرف بها، منها :

١- الفاحشة : فلقد سماه الله – تعالى – هذه التسمية، كما في قوله تعالى :" إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ "(١)

٢- عمل قوم لوط : نسبة إلى قوم لوط عليه السلام، فهم الذين أحدثوه وابتدعوه.

٣- الشذوذ الجنسي : لأن اللواط شذوذ وانحراف، وانتكاس في الفطرة.

٤- الجنسية المثلية : فقد سماها بعض الباحثين بهذه التسمية؛ لأنها تمثل الانجذاب أو الميل نحو نفس الجنس.(٢)

٥- السدومية أو الصادومية اشتقاقًا من اسم سدوم، أو صادوم إحدى مدن قوم لوط التي شاع فيها هذا الشذوذ الآثم.

٦- المدابرة : لأن هذا العمل عبارة عن إتيان الرجال في أدبارهم.(٣)

حكم اللواط :

كما أن الزنا حرام، اللواط محرم أيضًا؛ بل هو أفحش من الزنا؛ لأن وطء الذكر محرم عقلاً وشرعًا وطبعًا، ولا يمكن زوال حرمته؛ لأنها حرمة مؤبدة لا تزول بحال من الأحوال.(٤)

---

(١) سورة الأعراف جزء الآية (٨١).

(٢) الطبيب وكشف الجريمة، د/ السباعي حماد، صـ٣٢.

(٣) الفاحشة (عمل قوم لوط) "الأضرار – الأسباب – سبل الوقاية والعلاج" لمحمد إبراهيم الحمد (صـ١٣ – صـ١٥)، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، كشف الغطاء عن أحكام اللواط صـ١٨.

(٤) الفقه الإسلامي وأدلته د/ وهبة الزحيلي، جـ٧ صـ٥٣٤٦، طبعة دار الفكر.

يقول صاحب الفواكه الدواني : اللواط أشد حرمة من الزنا بالأنثى؛ لأنه لا يستباح بوجه من الوجوه. (١)

وقد ثبت تحريم اللواط بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع نذكر منها :

أولاً : الكتاب :

١- قال تعالى : "إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ" (٢)

٢- قال تعالى : "وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)" (٣)

٣- قال تعالى : "وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ."(٤)

وجه الدلالة من الآيات الكريمات :

دلت الآيات الكريمات على تحريم اللواط؛ فسماه الحق – سبحانه وتعالى – فاحشة، والفاحشة تطلق على كل أمر لا يكون موافقًا للحق، وعلى القبيح من القول

(١) الفواكه الدواني للنفراوي ٢/٢٨٦.
(٢) سورة الأعراف الآية (٨٠، ٨٤).
(٣) سورة النمل الآية (٥٤، ٥٥).
(٤) سورة العنكبوت الآية (٢٨، ٢٩).
وجاء ذكر اللواط كذلك في مواضع أخرى في القرآن الكريم، فأشار إليه تعالى في سورة : هود، والقمر، والذاريات، والشعراء، وذلك لتغليظ الذنب على مرتكبي هذه الفاحشة ولتنبيه البشر إلى تلك اللوثة التي تنحدر بالمرء إلى أحط درجات السقوط والإنحلال.

والفعل وعلى كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي فيكون اللواط حرامًا. [1] **وعلى هذا فإذا كان اللواط حرامًا في الأصل فلا يجوز تناول الهرمونات الجنسية لممارسته؛ لأن ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام، وللشيء حكم غايته.**

ثانيًا : من السنة : وردت أحاديث كثيرة تبين خوفه (ﷺ) على أمته من ضرر اللواط، وخطورته على الأمة الإسلامية؛ بل على العالم أجمع. نذكر من هذه الأحاديث ما يلي :

١– عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابرًا يقول : قال رسول الله – ﷺ – : "إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط". [2]

وجه الدلالة من الحديث :

دل خوفه – ﷺ – على أمته من جريمة اللواط؛ لأن فيه إبطال للحكمة الإلهية؛ لأن كل ما أوجده الله – تعالى – في هذا العالم جعله صالحًا لفعل خاص لا يصلح له سواه؛ فجعل الذكر للفاعلية والأنثى للمفعولية، وركب فيهما الشهوة للتناسل، وبقاء النوع؛ فلو تمكن الإنسان من تحصيل تلك اللذة بطريق لا تفضي إلى الولد، لم تحصل الحكمة المطلوبة، ولأدى ذلك إلى انقطاع النسل، وذلك على خلاف حكم الله، فوجب الحكم بتحريمه قطعًا، حتى تحصل تلك اللذة بالطريق المفضي إلى الولد. [3]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٧ صـ٢٤٣، جـ١٣ صـ٢١٩، طبعة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م، مدارك التنزيل وحقائق التأويل لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي جـ٢ صـ٦٢، طبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي.

(٢) أخرجه ابن ماجة – كتاب الحدود – باب من عمل عمل قوم لوط جـ٢ صـ٨٥٦، حديث رقم (٢٥٦٣) ، وأخرجه الترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي جـ٤ صـ٥٨، حديث رقم (١٤٥٧)، واللفظ للترمذي. قال الشيخ الألباني حسن، صحيح الترغيب والترهيب للألباني جـ٢ / صـ٣١٠، حديث رقم (٢٤١٧)، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.

(٣) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري جـ٤ صـ٦٢٧ بتصرف، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٢- عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله – ﷺ – قال : "لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في الدبر".[١]

وجه الدلالة من الحديث :

يدل الحديث على إعراض الله تعالى عمن يعمل عمل قوم لوط، وعدم نظره إليه نظر رحمة دليل كاف على التحريم.[٢] وعليه فإنه لا يجوز تناول الهرمونات الجنسية لممارسة اللواط؛ لأنه محرم ابتداءً.

ثالثًا : الإجماع :

أجمع أهل العلم على تحريم اللواط وأنه من الفواحش.

قال ابن قدامة : أجمع أهل العلم على تحريمه.[٣]

وقال ابن مفلح : انعقد الإجماع على تحريم اللواط.[٤]

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الرضاع – باب ما جاء في كراهية إتيان النساء في أدبارهن – جـ٣ صـ٤٦٩، حديث رقم (١١٦٥). والنسائي كتاب عشرة النساء، باب : ذكر حديث ابن عباس فيه واختلاف ألفاظ الناقلين عليه، جـ٥ / صـ٣٢٠، حديث رقم (٩٠٠١)، واللفظ للترمذي. قال الشيخ الألباني : صحيح. الجامع الصغير للألباني جـ١ / صـ١٣٧٦، حديث رقم (١٣٧٥٩).

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري جـ٤ صـ٢٥٨ بتصرف، دار الفكر، بيروت.

(٣) المغني على مختصر الخرقي لابن قدامة جـ٨ صـ١٩٠، عالم الكتب، بيروت.

(٤) المبدع في شرح المقنع لابن مفلح جـ٩ صـ٦٧.

الحكمة من تحريم الممارسات الشاذة

لعل الحكمة من تحريم هذه الممارسات ترجع إلى أضرارها الكثيرة، والتي يمكن تقسيمها إلى أضرار اجتماعية، ونفسية، واقتصادية.

أولاً : الأضرار الاجتماعية : (١)

للممارسات الجنسية غير المشروعة نتائج اجتماعية خطيرة تنعكس على الأسرة والمجتمع في الوقت نفسه، نذكر من هذه الأضرار على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

١- العزوف عن الزواج : هذه الممارسات من أهم أسباب العزوف عن الزواج، وبالتالي تكثر العنوسة، وذلك مدعاة لشيوع المنكرات والصد عن دين الله.

٢- انقراض النسل : من شأن هذه الممارسات أنها تصرف الرجل عن المرأة في ظل عقد مشروع، وبذلك تتعطل أهم وظيفة من وظائف الزواج وهي إيجاد النسل، وفي ذلك إبطال للحكمة الربانية، فينقرض النسل وتنهار الأسر ويتفكك المجتمع.

٣- إفساد العلاقة الزوجية : المتزوجة بمن يفعل هذه الممارسات الغير مشروعة لا تظفر معه الزوجة بالسكن ولا بالمودة ولا تنال غير التحقير والامتهان، ولا تجد سوى الترك والهجران، ولا تستطيع الحصول على تلك العاطفة السامية التي تصل الزوجين وتؤلف بينهما وقد يدفعها مثل هذه الممارسات الشاذة إلى الانحراف.

---

(١) فقه السنة للشيخ / سيد سابق جـ٢ صـ٤١٧ – ٤٢٠، دار الفتح للإعلام العربي، الحقائق الطبية في الإسلام، د/ عبد الرازق الكيلاني صـ٢٣٨، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق سنة ١٩٩٦م، القرآن والطب للدكتور / محمد وصفي صـ١٢٣، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، كشف الغطاء عن أحكام اللواط، د/ آمال يس، صـ٤٩.

٤- تفسخ المجتمع وتحلله، وحرمان الأمة من السعادة الحقيقية، والقوة والعزة، فالسعادة ليست بالانجراف وراء إشباع الشهوات، وإنما هي بالإيمان والالتزام الصادق بدين الله القويم.

٥- قلة الأمن، وشيوع الفوضى، وانتشار الرعب؛ لأن من يعتاد هذه الممارسات القذرة لا يتورع عن السطو على الآمنين؛ فيعيش المجتمع في قلق ورعب وخوف على صغاره من هذه الممارسات التي تقلق المضجع.

٦- انتشار الجرائم : من المفاسد الاجتماعية لتفشي مثل هذه الممارسات، انتشار الجرائم لاسيما جرائم القتل؛ لأن كثيرًا من مجرمي هذه الممارسات عندما يرتكبونها يقومون بقتل ضحاياهم لإخفاء جريمتهم، كما يقوم بعض الآباء بقتل أبنائهم المنحرفين، ولا شك أن لانتشار الجرائم أضرارًا بالغة، ومصائب لا حصر لها.

ثانيًا : الأضرار النفسية : (١)

تورث هذه الممارسات الشاذة أضرارًا نفسية كثيرة نذكر منها :

١- الشعور بالذنب وانعدام الثقة بالنفس : من يفعل هذه الممارسات تراه ضعيف الشخصية، فاقدًا للثقة بالنفس، لديه شعور بأن الناس يعلمون بقبيح فعله؛ فلسوء فعله ساء ظنه.

٢- الخوف الشديد والوحشة والاضطراب : من يفعل هذه الممارسات لا يكون إلا خائفًا مذعورًا، راغبًا في العزلة والانطواء، لا يأنس إلا بمن يلائمه ويشاكله، وهذا جزاء عادل فمن بحث عن الأمن والأنس في معصية الله، انقلب عليه الأمر رأسًا على عقب، فأصبح أمنه خوفًا، وأنسه همًا وغمًا.

---

(١) فقه السنة لأستاذنا الشيخ السيد سابق صـ٤١٩، الفاحشة عمل قوم لوط، صـ١٣٧، الفوضى الجنسية، د/ محمد الطحان، مستشار دار الاستشارات الطبية والتأهيلية صـ٤٤، ٤٥، سلسلة الأبحاث والدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى، السعودية سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، كشف الغطاء عن أحكام اللواط صـ٥٤، القران والطب، د/ محمد وصفي صـ١٢٣، ١٢٤.

٣- يؤثر اللواط على الأعصاب تأثيرًا خاصًا تكون من نتائجه الإصابة بالانتكاس النفسي في خلق الفرد؛ فيشعر المفعول به في صميم فؤاده بأنه ما خلق ليكون رجلاً، وينقلب به الشعور إلى شذوذ فيميل إلى بني جنسه، ومن هنا يتبين العلة الحقيقية في إسراف بعض الشبان الساقطين في التزين وتقليد النساء في وضع المساحيق على وجوههم ومحاولتهم الظهور بمظهر الجمال بتحمير أصداغهم وتكسرهم في مشيتهم وهو ما يطلق عليه في الفقه الإسلامي "المأبون".(١)

٤- اللواط بجانب ذلك يسبب اختلالاً كبيرًا في توازن عقل المرء، وارتباكًا عامًا في تفكيره، وركودًا غريبًا في تصوراته، وبلاهة واضحة في عقله، وضعفًا شديدًا في إرادته، وإن ذلك ليرجع إلى قلة الإفرازات الداخلية التي تفرزها الغدة الدرقية، والغدد فوق الكلى، وغيرها مما يتأثر باللواط تأثيرًا مباشرًا، فيضطرب عملها وتختل وظائفها، فيفسد الذهن، وتحدث الوساوس، فيصاب اللائط بالبله، والعبط، وشرود الفكر، وضياع العقل والرشاد.

٥- هذه الممارسات الشاذة تجعل صاحبها عرضة للإصابة بأمراض عصبية شاذة وعلل نفسية شائنة تبديها هذه الفواحش وتدعو إلى تسلطها عليه، فتفقده لذة الحياة، وتسلبه الأمن والطمأنينة، وتفقده صفة الإنسانية والرجولة. ومن هذه الأمراض العصبية والنفسية : السادية(٢)،

---

(١) المأبون : هو من يتكسر في كلامه كالنساء، أو من يشتهي أن يفعل به الفاحشة، ولم يفعل به، أو من كان يفعل به وتاب، وصارت الألسن تتكلم فيه.
الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي جـ١ صـ٣٣٠، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) السادية : نسبة إلى المركيز دي ساد الذي اشتهر بمؤلفاته ذات المحتوى الجنسي العنيف، وبرغباته في التلذذ بتعذيب النساء أثناء ممارسة الجنس معهن، وكان يعاني من اضطراب نفسي تولد من كراهيته لأمه، ولذلك أطلق لخياله وسلوكه العنان في إيذاء وامتهان المرأة، دخل إلى مستشفى الأمراض العقلية حيث أمضى بقية حياته، وهذا النوع من الشذوذ وهو (تحقيق=

والماسوشية[١] والفيتشزم[٢] وغيرها.

ثالثًا : الأضرار الاقتصادية :

لتناول الهرمونات الجنسية من أجل الممارسات غير المشروعة أضرار اقتصادية[٣] منها :

١- إهدار الثروة المالية، ويتحقق ذلك إما بالبحث عن الشهوة المحرمة وإنفاق الأموال الطائلة إشباعًا للغرائز، أو بالإنفاق على شراء المجلات الهابطة

= الشهوة بتعذيب الطرف الآخر أثناء المداعبة والجماع والتلذذ بالقسوة) كثيرًا ما يؤدي إلى جريمة قتل جنسية.
كيف تقتلنا الفوضى الجنسية، د/ أحمد محمد الطحان صـ٥٤، كشف الغطاء عن أحكام اللواط، د/ آمال يس، صـ٥٥، هامش (١).

(١) الماسوشية : (المازوخية) نسبة إلى الروائي النمساوي مازوخ، ويذكر أن مازوخ كان يراقب عمته وهي تخون زوجها، وذلك أثناء اختبائه في دولاب الملابس، وتمتعه بمنظر الجنس بينهما، وعندما اكتشفت عمته الأمر أشبعته ضربًا، فأصبح الضرب عنده وسيلة للإثارة الجنسية عبر تذكر منظر الجماع والمداعبة، والمازوخية : هي تعبير عن حالة الفرد في إقباله وتقبله لما يمكن أن يقع عليه من ألم وإيذاء جسدي أو نفسي من شخص آخر واستمتاعه بهذا الألم، وهذا النوع أيضًا كثيرًا ما يؤدي إلى جريمة قتل جنسية.
كيف تقتلنا الفوضى الجنسية، د/ أحمد محمد الطحان صـ٥٤، ٥٥، كشف الغطاء عن أحكام اللواط صـ٥٦، هامش (٢).

(٢) الفيتشزم : عقدة التشبه، وهي رغبة بعض الرجال ارتداء الملابس النسائية، ووضع المكياج تشبهًا بالنساء، ثم الظهور اجتماعيًا في المناسبات والحفلات، أو أن يرتدي الرجال الملابس الداخلية النسائية لتحقيق رغبة كامنة في النفس، أو العكس كأن ترتدي المرأة ملابس الرجال، أو تقوم بأي عمل مهما كان غريبًا ومخالفًا للمألوف أملاً بكسب الإثارة والإحساس بالشهوة.
كيف تقتلنا الفوضى الجنسية صـ٥٣، كشف الغطاء عن أحكام اللواط صـ٥٦ هامش (١).

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، د/ عبد الله ناصح علوان، جـ٢ صـ٥٤٤، ٥٤٦، الطبعة التاسعة، الفاحشة عمل قوم لوط لمحمد بن إبراهيم الحمد صـ٣٥، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، السعودية ١٩٩٤م.

والأشرطة التي تحرك الكوامن وتهيج الغرائز، أو إنفاق الأموال من أجل شراء مثل هذه الهرمونات الجنسية.

٢- التأثير على الدخل العام للدولة : لا شك أن الأمراض المتفشية بين الذين يرتكبون هذه الممارسات تجعل قسطًا كبيرًا من الأموال تبذل لعلاجهم. وكان بالإمكان استغلال هذه الأموال فيما يعود بالخير على الفرد والمجتمع، ويكفي أن نعلم أن تكلفة رعاية أي مريض من مرضى الإيدز يبلغ في الولايات المتحدة ما بين خمسين ومائة وخمسين ألف دولار، وهذا يكلف الدولة مبالغ باهظة بلغت حتى نهاية عام ١٩٨٥م ألف وسبعمائة مليون دولار، بالإضافة إلى مئات الملايين التي تنفق على أبحاث الإيدز، حيث خصصت الحكومة الأمريكية مائتي مليون دولار لأبحاث الإيدز، وآلاف الملايين التي تضيع كساعات عمل ضائع بسبب هذا المرض المرعب. (١)

٣- الممارسات الجنسية غير المشروعة سبب من أسباب البطالة (٢) فكثير من الذين يقومون بالممارسات الجنسية الغير مشروعة يفقدون أعمالهم، ويطردون منها لعدم صلاحيتهم؛ حيث تعد هذه الممارسات شاذة وغير مشروعة، فيخسرون أعمالهم ويصبحون عالة على مجتمعاتهم.

٤- الممارسات الجنسية غير المشروعة عامل من عوامل الانهيار الاقتصادي للأمة(٣) : مما لا شك فيه أن الذين يقضون أوقاتهم في سوق الملذات والشهوات هم ممن تخلوا عن الزواج المشروع، وانساقوا وراء الفاحشة الآثمة؛ فهؤلاء يسببون انهيار الاقتصاد في الأمة، وذلك لضعف القوى، وقلة الإنتاج، واتخاذ الكسب غير المشروع.

---

(١) المرجعان السابقان، نفس الموضعين المشار إليهما.

(٢) كشف الغطاء عن أحكام اللواط صـ٦٨.

(٣) الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة للؤلؤة بنت صالح بن الحسين آل علي صـ٤١٤، الطبعة الأولى، دار ابن القيم، السعودية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م. نقلاً عن العلاقات الجنسية الشاذة (مقال) للدكتور / محمد علي البار نشرته مجلة المجتمع العدد (٦٥١) صـ٤٢.

أ- أما ضعف القوى : فلأن الذي ينساق وراء اللذة والفاحشة يمرض عقليًا وجسميًا وخلقيًا ونفسيًا، والمريض الذي تضعف قواه وينحط جسمه، وتنهار عزيمته لا يستطيع أن ينهض بمسئوليته على وجهها الأمثل، ولا أن يضطلع بمسئوليته على وجهها الأكمل، ولا أن يضطلع بواجباته على النهج الصحيح، وفي ذلك تعطيل للاقتصاد وانهيار للحضارة.

ب- أما قلة الإنتاج : لأن المتحلل الماجن لا يخلص في عمله، ولا ينهض بمسئولياته لانعدام الرادع الديني والزاجر الأخلاقي في قلبه وضميره، وفي ذلك فساد للأخلاق وطعنة في الاقتصاد.

ج-أما اتخاذ الكسب غير المشروع : فلأن الماجن الوضيع الذي ليس له من تقوى الله رادع، يريد إشباع نهمه المادي من أي طريق غير مشروع، كالاتجار بالأعراض، والصور العارية، والمجلات الماجنة، والأفلام الخليعة، والكتب الفاحشة، والقصص الغرامية، إلى غير ذلك من الوسائل التي لا تعود على المجتمع إلا بالخسران والضرر، وقتل القيم ومكارم الأخلاق؛ إذ بها تنهار الطاقة المنتجة، وتتعطل المكاسب المشروعة، ويعيش المجتمع أسير الاستغلال واللصوصية وسجين الأنانية والمحسوبية وعبد للشهوة واللذة، وفي ذلك تحطيم لتقدم الأمة وإضعاف لاقتصادها وإنتاجها.

هذا شيء قليل من أضرار العلاقات الجنسية غير المشروعة، وجزء من آثاره. أو بعد هذا يليق بعاقل أن يسلم عقله لنزوة خاطئة أو لذة عابرة ثم يدفع بعدها الثمن غاليًا.

الأمراض[١] المنقولة جنسيًا في ظل الممارسات الشاذة

المقصود بالأمراض المنقولة جنسيًا :

هي الأمراض التي تنقل من فرد لآخر عن طريق الاتصال الجنسي وتصيب باقي أعضاء الجسم.[٢]

أمراض تنتقل جنسيًا وعن طريق الدم :

- **متلازمة عوز المناعة المكتسب[٣] (الإيدز).**
- **التهاب الكبد الفيروسي.**

متلازمة عوز المناعة المكتسب (الإيدز) :

أولاً : الإيدز :

تعريف الإيدز :

الإيدز مرض يسببه فيروس[٤] العوز المناعي البشري HIV وكلمتا AIDS الإنجليزية، وسيدا SIDA الفرنسية هما اختصار للتسميتين :

---

(١) الأمراض : جمع مرض، والمرض هو : هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان ينجم عنها بالذات آفة في الفعل. نظرية الضرورة الشرعية، د. وهبة الزحيلي صـ١٣٥.

(٢) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية صـ٦٥.

(٣) كلمة متلازمة تعني عدد من الأعراض المرضية التي تصاحب وجود مرض ما، والعوز المناعي يعني قصور الجهاز المناعي عن أداء وظائفه الحيوية، رسالة عن الإيدز إلى أعضاء المهن الطبية صـ٢، إصدار منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط، طبع ١٩٩٢م، والمكتسب تعني أن المرض طرأ على الجسم بسبب عوامل اكتسبها من البيئة وليس مرضًا موروثًا أو تلقائيًا.
مرض الإيدز وأثره على حق الزوجين في طلب التفريق بينهما. د. شكري إبراهيم صالح ص٣٠٠، بحث منشور في مجلة البحوث الفقهية والقانونية بكلية الشريعة والقانون بدمنهور، العدد الحادي عشر ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

(٤) الفيروس : كائن دقيق لا يرى إلا بالمجهر.
الأحكام الشرعية المتعلقة بمرض الإيدز، أ.د. عمر سليمان الأشقر، ج١ ص٢٦، دار النفائس، الأردن.

- الإنجليزية **Acquired Immune Deficiency Syndrome**.
- الفرنسية **Syndrome d'Immuno D'eficience Acquise**.

أما باللغة العربية فيسمى متلازمة العوز المناعي المكتسب. (١) **ومرض الإيدز يمثل المرحلة الأخيرة من مراحل العدوى بفيروس العوز المناعي البشري HIV، يؤدي الفيروس إلى تدمير الجهاز المناعي بالجسم، وهكذا يصبح عاجزًا عن مقاومة أنواع متعددة من العدوى التي يتغلب عليها الجسم السليم في الظروف العادية، كما يكون عرضة للإصابة ببعض الأورام الخبيثة.**

سبب الإيدز :

سببه عدوى فيروس عوز المناعة الآدمي (HIV) وتم حتى الآن اكتشاف أربعة فصائل منه وهو متخصص في مهاجمة الخلايا الليمفاوية الآدمية المسئولة عن المناعة حيث يوجد به إنزيم خاص يمكنه من السيطرة على مادة نواة الخلية الآدمية وتحويل مادتها الوراثية إلى كتلة فيروسات والتي بدورها تهاجم الخلايا الأخرى، ومن خصائصه أنه يستطيع تغيير غلافه البروتيني وبذلك يهرب من مقاومة الجسم له. (٢)

كيفية عمل فيروس الإيدز داخل جسم الإنسان :

بمجرد غزو الفيروس للجسم يتجه إلى الخلايا التي يعيش بها، وهي :

- **الخلايا الليمفاوية المساعدة (تساعد وحدات الجهاز المناعي في الجسم على مقاومة الأمراض).**

---

(١) رسالة عن الإيدز إلى أعضاء المهن الطبية صـ٢، أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية صـ٦٥، الإصابة بمرض فقد المناعة المكتسب وأحكام المعاملات، د. جاسم علي سالم، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الثامن والعشرون صـ١٦٥، وما بعدها، الأحكام الشرعية المتعلقة بمرض الإيدز، أ.د. عمر سليمان الأشقر، ص٢٥ وما بعدها.

(٢) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية صـ٦٦، الأطفال في الإسلام، رعايتهم ونموهم وحمايتهم، صـ٤٠، ٤١، جامعة الأزهر بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) ٢٠٠٦.

- **الخلايا الملتهمة للجراثيم والأجسام الغريبة التي تغزو الجسم (نوع من خلايا كرات الدم البيضاء).**
- **الخلايا العصبية في المخ والنخاع الشوكي.**

وتكرار مهاجمة فيروس للخلايا يضعف تدريجيًا مناعة الجسم مما يؤدي إلى غياب تلك المناعة، الأمر الذي يؤدي إلى ضعف الجسم في مواجهة كافة الفيروسات والطفيليات والفطريات الأخرى التي تصيب الجسم بأنواع من العدوى تسمى العدوى الانتهازية. (١)

كيف تنتقل عدوى الإيدز : (٢)

توضح الدراسات الوبائية التي أجريت في شتى أنحاء العالم إلى أن سبب العدوى بوجه خاص هو الدم، والمنى، وإفرازات عنق الرحم والمهبل، وينتقل الفيروس من شخص لآخر بثلاث طرق رئيسة هي :

(١) العدوى عن طريق العلاقات الجنسية :

ينتقل المرض أساسًا عن طريق الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة أو الاتصال الجنسي الشاذ بين الذكور (اللواط) إذا كان أحد الطرفين مصابًا بالعدوى، وهناك ممارسات وعوامل تزيد من خطر حدوث العدوى، مثل : تعدد قرناء الجنس ومخالطة البغايا (بائعي الهوى).

(٢) العدوى عن طريق الدم :

وهي تحدث عند نقل الدم من شخص مصاب بالعدوى إلى شخص سليم، وقد وجدت علاقة بين حدوث علاقة بين حدوث العدوى وبين تكرار استعمال

---

(١) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية، ص٦٦، رؤية إسلامية للمشاكل الاجتماعية لمرض الإيدز، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٣٣٦)، شعبان ١٤١٤هـ - يناير ١٩٩٤، صـ٣٣، الأطفال في الإسلام صـ٤١، الإيدز مرض العصر، د. مدحت عزيز شوقي، ص٩٥، ٩٦، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

(٢) حتى الآن لم يظهر أي دواء أو مركب يستطيع التصدي لفيروس الإيدز، وإنما أمثل طريقة للعلاج هي الوقاية منه، رسالة عن الإيدز إلى الشباب والطلائع صـ٢١، إصدار منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط، البرنامج العالمي للإيدز، ١٩٩٥م.

المحاقن والإبر غير المعقمة جيدًا، فذلك يسمح باستمرار بقاء الفيروس حيًا على أدوات الحقن، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ارتفاع معدلات العدوى بالإيدز بين مدمني المخدرات الذين يتعاطون المخدرات عن طريق الوريد بمحاقن وإبر ملوثة والأمر كذلك أيضًا في حالات ثقب الجلد مثل ثقب الأذن.(١)

والعلاج بالإبر الصينية والوشم(٢) وتخديش الجلد حيث يؤدي استخدام

---

(١) جرت العادة في النساء بثقب الأذن لتعليق (القرط) فيها، كما جرت عادة بعض القبائل بثقب الأنف للأنثى لتعليق شيء من الزينة فيها، ويجب أن نشير إلى أن هذا العمل يتعلق بالأنثى لا بالرجل، لما جرت به العادة من تحلي النساء بالأقراط والحلى، خلافًا للرجل؛ فما نراه من عادات بعض المخنثين والمتشبهين بالنساء من التحلي بتعليق قرط (حلق) في أذنه، أو أنفه، إنما هو من باب التشبيه بالنساء؛ فهو حرام. حاشية ابن عابدين جـ٦ / صـ٤٢٠، دار الفكر، بيروت. حتى عده الفقهاء من الفسق. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي جـ١ / صـ١٢٥، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، سنة ١٩٥٦م، وكذا لبس السلسلة في اليد والرقبة ونحو ذلك. بحوث فقهية في قضايا معاصرة، د. بلال حامد صـ٩٠، وبالنسبة للنساء فإن ثقب الأنف لتعليق شيء من الحلي فيهما مخالف للفطرة، ذلك؛ لأن الأنف ليس موضعًا للزينة، كما أن تعليق الزينة فيه يمثل عائقًا في عملية الاستنشاق، وعليه فلا يكون ثقب الأنف وتعليق الزينة فيها للنساء مشروعًا. والله أعلم وأحكم بالصواب.

(٢) الوَشْمُ في اللغة : العلامة – مأخوذ من وشم، يقال : بيدها وشم ووشوم بمعنى علامات. لسان العرب مادة (وشم) وفي المعجم الوجيز : (وَشَمَ) الجِلْدَ – (يَشِمُهُ) وَشْمًا : غَرَزَه بإبرة. المعجم الوجيز مادة (وشم).

والوشم في الاصطلاح : أن يغرز الجلد بإبرة حتى يسيل الدم، ثم يحشي موضع الإبرة بالكحل ونحوه فيخضر أو يزرق. شرح صحيح مسلم جـ١٤ / صـ١٠٦.

وقد أجمع العلماء على تحريم الوشم بالنسبة للفاعل والمفعول به رجلاً كان أو امرأة إذا فعله غير مكره. حاشية ابن عابدين جـ٦ صـ٣٧٣، المنتقى للباجي جـ٧ / صـ٢٦٧، المجموع للنووي جـ٣ / صـ١٣٥، دار العلوم للطباعة، مصر ١٩٧٢م، كشاف القناع للبهوتي جـ١ / صـ١١، مطبعة النصر الحديثة، المحلى لابن حزم جـ١١ / صـ٢٩٨، دار الاتحاد العربي، مصر ١٩٦٨م، وقد دلت على تحريم الوشم عدة أحاديث منها قوله (ﷺ) : "لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة" واللعن لا يكون إلا على شيء محرم. أخرجه البخاري عن ابن عمر، كتاب : اللباس، باب : الوصل في الشعر، جـ٥ / صـ٢٢١٧، حديث رقم (٥٥٩٣).

الأدوات المستعملة في هذه الحالات الملوثة بالفيروس إلى نقل العدوى. (١)

(٣) العدوى من الأم إلى الجنين :

قد تنتقل العدوى من الأم المصابة إلى الجنين أثناء الحمل أو الولادة بقليل وتبلغ احتمالات انتقال العدوى للجنين من أم مصابة ما بين ٢٥% – ٤٥%. (٢)

ثانيًا : التهاب الكبد الفيروسي :

التعريف :

التهاب في الكبد ينتج عن عدوى فيروسية.

يوجد منه أنواع نخص بالذكر :

- **التهاب الكبد فيروس B.**
- **التهاب الكبد فيروس C، لم يثبت حتى الآن إذا كان ينتقل جنسيًا أم لا.** (٣)

التهاب الكبد فيروس B :

طرق الانتقال :

- **الاتصال الجنسي.**
- **الانتقال من الأم إلى المولود أثناء الولادة عن طريق الدم الذي يصل للمولود عن طريق المشيمة.**
- **ممارسة الجنس بين الذكور (اللواط).**
- **الرجال والنساء ذوي العلاقات الجنسية المتعددة.**
- **تعاطي المخدرات بالحقن في الوريد.**
- **استخدام أدوات غير معقمة عند عيادات الأسنان.**

---

(١) مرض الإيدز وأثره على حق طلب التفريق بين الزوجين صـ٣٠٨، أحكام نقل الدم، د. مصطفى عرجاوي صـ٤٥، وما بعدها، دار المنارة ١٩٩٢م.

(٢) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية صـ٦٧، رسالة عن الإيدز، صـ٣، رؤية إسلامية للمشاكل الاجتماعية لمرض الإيدز، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٣٣٦) شعبان ١٤١٤هـ / يناير ١٩٩٤م، ص٣٣، وجريدة الجمهورية العدد (١٩١٤٨)، ص٢، الخميس الأول من يونيو ٢٠٠٦م، الخامس من جمادى الأولى ١٤٢٨هـ.

(٣) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية صـ٧٢.

- **في صالونات التجميل التي يستعمل فيها أدوات غير معقمة.** [1]

ثالثًا : أمراض تنقل جنسيًا فقط : [2]

١- الزهري.

٢- السيلان.

٣- الكلاميديا.

٤- هيربس نوع أ (الحلأ التناسلي).

٥- الثآليل التناسلية (وارتس – السنط).

٦- ترايكوموناس.

أولاً : مرض الزهري :

الزهري مرض من الأمراض المعدية يبدأ بقرحة صغيرة قد تختفي داخل الفم، أو داخل المهبل أو عند الرحم، وقد تكون ظاهرة عند الأعضاء التناسلية، أو المناطق المجاورة من الجلد، وتظهر تلك القرحة النحاسية اللون بعد انتقال العدوى بفترة

---

(١) المرجع السابق صـ٧٠.

المتعرض للعدوى :

هو الشخص الذي تعرض للمرض بأي طريقة من طرق الانتقال المذكورة، وقد يحدث له أيًا من الحالات الثلاثة الآتية :

- أصيب فعلاً وظهرت أعراض المرض عليه.
- لم يصب بعد.
- أصيب بالفيروس ولكن الفيروس في مرحلة كمون داخل جسمه بدون أعراض والطريقة الوحيدة لاكتشافه تحليل الدم.
- مرحلة الكمون تتراوح ما بين ٣ أشهر – ٣ سنوات.
- في نهاية هذه الفترة إما أن تظهر أعراض المرض أو يكون الجهاز المناعي في الجسم استطاع أن يتغلب على الفيروس.

وهذه الفترة تسمى حامل العدوى ويستطيع نقل الفيروس لغيره.

المرجع السابق، نفس الموضع المشار إليه، وجريدة الجمهورية صـ٢، الخميس الأول من يونيو ٢٠٠٦، الموافق الخامس من جمادى الأولى ١٤٢٧هـ.

(٢) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية صـ٧٢، ٧٣.

تتراوح بين أسبوع وشهرين أو ثلاثة، وتبدو وكأنها لا علاقة لها بالاتصال الجنسي السابق، ثم تختفي القرحة تلقائيًا دون علاج بعد فترة شهر أو شهرين، ويبدو المريض سليمًا معافى وذلك في الوقت الذي يتمكن فيه الميكروب من أنسجته وأعضائه، ويشتد الألم على المريض بالليل خاصة، ويزيد هذا المرض وبالاً في الشيخوخة، وينتهي بالمريض غالبًا إلى ملازمته الفراش فيقع عاجزًا مشلولاً لا يتحكم في حركاته أو تبوله أو تغوطه، وتبدو مفاصله ضعيفة الحركة، ويكون قلبه متضخمًا سقيمًا، وشرايينه متمددة ضعيفة، بعضها ضيق مسدود، كما تكون أعضاؤه الداخلية متليفة، ولا ينتهي البلاء عند هذا الحد، بل ينتقل إلى الجنين من أمه المصابة بهذا المرض أثناء الحمل، وذلك من خلال أنسجة المشيمة بالرحم، ويؤدي إلى موت الجنين والإجهاض، ويتكرر ذلك عند كل حمل، وإذا ما ولد طفل للمصابة بالزهري يبدو كأنه عادي ثم تظهر عليه بعد فترة من الزمن طفحات جلدية تغطي جسده كله، وتتشقق الشفتان، وحول فتحة الأنف، وتسقط الأظافر، ويتضخم الكبد، ويزداد حجم الرأس وتتشوه الأسنان، وتلتهب الأعصاب والعينان، وقد ينتهي المرض بفقد الإبصار وتتورم العظام والجمجمة وتلتهب الأذنان، ويكون الصمم نتيجة لذلك. (١)

خطورة مرض الزهري أنه :

- **مرض مزمن إذا لم يعالج.**
- **ظهوره واختفاؤه يعطي انطباعًا خاطئًا بأنه تم شفاؤه.**

الزهري عند المرأة الحامل :

- **تجتاز جرثومة الزهري المشيمة لدى المرأة الحامل.**
- **ينتقل إلى الجنين من بداية الشهر الرابع.**
- **قد يولد الطفل بتشوهات خلقية ويصيبه العمى أو يحدث إجهاض متكرر.**

---

(١) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية، ص٧٢، ٧٣، الجنين المشوه والأمراض الوراثية، د. البار، صـ٩٨، مجلة منار الإسلام، مقال عن الزهري، د. السيد سلامة السقا، ص٥٧، العدد (١٦)، سنة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، الأحكام الفهقية المتعلقة بالفحص الطبي قبل الزواج، عبد الفتاح أحمد عبد الفتاح، ص١٠١، ١٠٢.

ثانيًا : مرض السيلان :

مرض السيلان من الأمراض المعدية، والتي تتجمع الميكروبات فيه في أماكن غير ظاهرة وبخاصة في الجهاز التناسلي، وتسبب الالتهابات المختلفة في الأعضاء التناسلية، وقناة مجرى البول والخصيتين في الرجال، والتهاب الرحم والقنوات في النساء، ويصيب أماكن كثيرة من الجسم مسببًا الالتهابات الصديدية في منطقة الحوض والتهابات المفاصل والعيون والقلب ...". (١)

ثالثًا : مرض الترايكوموناس : (٢)

الميكروب المسبب للمرض هو ميكروب فطري وحيد الخلية كمثري الشكل وله أربعة أهداب تساعده على الحركة.

الترايكوموناس في النساء :

- **فترة الحضانة من ١ – ٣ أسبوع.**
- **تؤدي العدوى إلى إفرازات مهبلية صفراء كريهة الرائحة ويحدث ألم عند الاتصال الجنسي.**
- **وعند الكشف الطبي نجد أن جدار المهبل يكون مائلاً للاحمرار وعنق الرحم يشبه لون الفراولة نتيجة للالتهاب الشديد.**
- **يحدث أحيانًا التهاب في مجرى البول يؤدي إلى حرقان شديد أثناء التبول، ويحدث المرض عادة في فترة الإخصاب، وأحيانًا بعد سن اليأس أو قبل البلوغ، وتحدث الإصابة نتيجة الاتصال الجنسي واستعمال ملابس المريض الداخلية.**

عدوى الترايكوموناس في الرجال :

- **مدة الحضانة من ١ – ٣ أسابيع.**
- **تؤدي العدوى إلى التهاب مجرى البول.**

---

(١) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية، صـ٧٦، الأحكام الفقهية المتعلقة بالفحص الطبي صـ١٠٢.

(٢) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية، صـ٧٦، ٧٧.

- **يتم التشخيص عند رؤية الميكروب في البول تحت الميكروسكوب.**
- **من الممكن أن يصل الميكروب إلى البروستاتا أو الحويصلات المنوية للرجال.**

رابعًا : مرض الكلاميديا :

تعريفه :

أكثر الأمراض التناسلية انتشارًا في المجتمعات، يوجد منه عدة أنواع ينتقل منه أحد عشر نوعًا بالعلاقات الجنسية، قد يصعب تشخيص المرض بسبب ندرة الأعراض وعدم توافر الطرق الخاصة للتشخيص. (١)

خامسًا : مرض هيربس نوع (أ) (الحلأ التناسلي) :

تعريفه :

- **يتسبب عن فيروس ينتقل عن طريق الاتصال الجنسي.**
- **مدة الحضانة من ٤ – ٧ أيام.**
- **غالبًا يتحول الهيربس أ إلى صورة مزمنة. (٢)**

---

(١) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية، صـ٧٧.

أعراض مرض الكلاميديا :

عند الرجال : ٧٥% من المصابين لا تظهر عليهم أية أعراض، آلام عند التبول وتعكر لون البول.

عند النساء : ٧٥% من المصابات لا تظهر عليهن أية أعراض، إفرازات مهبلية ناتجة من التهابات عنق الرحم، نزيف مهبلي غير منتظم، آلام في البطن وفي الجماع، آلام عند التبول،

المضاعفات : لمس المصاب لجفونه بعد لمسه لأعضائه التناسلية يؤدي إلى احمرار وتورم العين، إذا لم تعالج تسبب للرجل ضعف المقدرة على الإنجاب، التهاب في المثانة والمسالك البولية، تسبب للمرأة العقم والتهاب الحوض والحمل خارج الرحم، الإجهاض والولادة المبكرة والالتهابات بعد الولادة.

الوقاية : الابتعاد عن العلاقات الجنسية المحرمة.

المرجع السابق، نفس الموضع المشار إليه.

(٢) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية، صـ٧٧، ٧٨.

أعراض مرض هيربس نوع (أ) الحلأ التناسلي :

آلام عند التبول، ظهور بثور مؤلمة حول أو على الأعضاء التناسلية تختفي وتظهر بعد فترة، سرطان جلد الأعضاء التناسلية في الرجال.

المرجع السابق، نفس الموضع المشار إليه.

المعاشرة الجنسية بين الزوجين أثناء وجود الأمراض المنقولة

المعاشرة الجنسية بين الزوجين :

إذا كان كل من الزوجين مصابًا بنفس مرض صاحبه فلا حرج عليهما في المعاشرة الجنسية، فالبلاء قد وقع، وكلاهما به مصاب، أما إذا كان أحدهما مصابًا به دون الآخر، وقد وافق الطرف السليم على بقاء العلاقة الزوجية مع الطرف المريض به، فلا يجوز للزوج المريض إجبار زوجه السليم على المعاشرة والمواقعة؛ لأن في ذلك إضرارًا به، ينقل المرض إليه.

والأطباء ينصحون في حال المواقعة استعمال الزوج للعازل الذكري (الكبوت)، ولا شك أن استعماله يخفف من إصابة الصحيح بالمرض، ولكنه لا يمنعه، فكثير من الرجال لا يستعملون العازل الذكري استعمالاً صحيحًا، وقد يكون العازل مثقوبًا، وقد يثقب حال المعاشرة الجنسية، وحين ذلك يقع البلاء، ويندم من كان معافى، ولات ساعة مندم.

عزل المصاب بالأمراض المنقولة جنسيًا عند أهل الطب :

ليس باستطاعة دولة من الدول اليوم عزل المصابين بالإيدز، فقد اتسع الخرق على الراقع، فالمصابون به اليوم يبلغون أربعة عشر مليونًا، وهم في ازدياد مطرد، ووسائل المواصلات تحملهم إلى مشارق الأرض ومغاربها، وحيثما حلوا ينشرون هذا الوباء، ويهدونه إلى من يخالطهم من الأصحاء، وقد لا يظهر على المصاب ما يدل على أنه يحمل هذا المرض الخطير.

عزل المريض في المفهوم الطبي :

إن عزل المريض في المفهوم الطبي قد تطور، فالعزل قديمًا كان يعني حبس المرضى في منازلهم وعدم مخالطة الناس لهم، وإذا أصاب الوباء إقليمًا من الأقاليم، فإنه يحجر على أهل الإقليم الخروج منه، كما يمنع على من كان خارجه الدخول إليه.

أما عزل المريض اليوم فمعناه : منع المريض من أن يكون مصدر عدوى للآخرين.

وهذا يختلف باختلاف وسيلة انتقال العدوى. ففي مرض الملاريا مثلاً، يكون العزل بإبعاد المريض عن احتمالات لدغ البعوض له بجعله ينام تحت ناموسية. وفي الأمراض التي تنتقل عن طريق الطعام والشراب كالحمى التيفية (التيفود) والهيضة (الكوليرا)، يكون العزل بإبعاد مفرزات المريض، ولا سيما البراز عن أن تكون مصدرًا لتلوث الأطعمة والأشربة، وذلك بجعل المريض يتبرز في مرحاض خاص، وبتطهير البراز وغسل الأيدي بعد التبرز، وفي الأمراض التي تنتقل عدواها عن طريق الجهاز التنفسي كالحمى المخية، الشوكية (التهاب السحايا) والتدرن (السل). يكون العزل بالحيلولة دون وصول المفرزات التنفسية من المريض إلى السليم، فينام المريض في غرفة وحده، ويتحاشى السعال والعطاس في وجه الآخرين".[1]

موقف الإسلام من رعاية المصابين بالأمراض المنقولة جنسيًا :

حث الدين الإسلامي على رعاية المريض والعناية به وعيادته، وأن فعل ذلك يثاب عليه المرء من الله – سبحانه وتعالى – والتراحم بين الناس واجب ديني كما أن التعاطف الإنساني أمر تقرره الشريعة الإسلامية، وعليه فإن الوقاية من انتشار الإيدز والأمراض المختلفة المنقولة عن طريق ممارسة الجنس لابد أن تأخذ أسلوبًا إنسانيًا في التطبيق بعيدًا عن التمييز بين البشر، فقد تؤثر أحيانًا الإجراءات الطبية الخاصة بعزل المرض في أماكن خاصة، وكذلك القيود التي توضع على توظيفهم والتعامل معهم أو إلحاقهم بالمدراس ودور التعلم قد تؤثر مثل هذه الإجراءات سلبيًا على مفهوم حقوق الإنسان لانتقاصها من الحقوق المقررة على وجه العموم لأسباب قد لا يكون لهم دخل في حدوثها، وتحض الشريعة الإسلامية على مسألة حقوق المرضى والمخالطين لهم، وأنه لا يجوز أن يمتهن أحد المريض أو المصاب بالعدوى ولا أن يعتدي على كرامته ... حيث ينهى الدين الإسلامي بشكل قاطع عن السخرية بالآخرين فقال :" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ

(١) دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، د. عمر سليمان الأشقر، صـ٧٢، ٧٣، معلومات أساسية حول مرض الإيدز، د. محمد هيثم الخياط وزميله، ص٤.

الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ "(١١) .[١] كما ينهى الإسلام أيضًا عن الإضرار بالغير الوارد في قوله (ﷺ) "لا ضرر ولاضرار" فعلى المصاب أن يحتاط بالوسائل المتاحة لعدم نقل العدوى منه إلى الغير.[٢]

من أهم الآثار التي يولدها عقد النكاح حل استمتاع كل من الزوجين بالآخر على النحو المقرر شرعًا. ومن ثم فهذا الحق ليس مطلقًا وإنما مقيد ببعض القيود التي تضمن حماية الزوجين في هذه الحالة. ومن ذلك مثلاً حرمة الجماع أثناء فترة الحيض نظرًا للأذى الذي يلحق الطرفين بسبب الجماع في ذلك الوقت.[٣]

وقد تقدم بأن مرض متلازمة العوز المناعي المكتسب "الإيدز" من الخطورة بمكان إذ أنه يؤدي إلى قتل جهاز المناعة لدى الإنسان المصاب به، ويؤدي حتمًا إلى الهلاك.[٤]

كما أن من وسائل العدوى بين الأفراد المخالطة الجنسية بصفة عامة أو بين الزوجين أو عن طريق الدم أو من الأم إلى الجنين[٥]، وأن هناك أمراض تنتقل جنسيًا فقط وهي : الزهري، والسيلان، والكلاميديا، وهيربس نوع أ (الحلأ التناسلي)، والثآليل التناسلية (وارتس–السنط)، والترايكوموناس، وكلها أمراض خطيرة ومعدية.

وعلى هذا فما هو الحكم الفقهي لتناول الهرمونات الجنسية ثم مباشرة أحد الزوجين المصاب بأحد الأمراض السابقة للطرف الآخر السليم أثناء المرض ؟ أحسب أن الجماع بين الزوجين إذا كان أحدهما مريضًا والآخر صحيحًا محرم في هذه الحالة حتى لا تنتقل العدوى من المريض إلى الصحيح.

ويمكن تأصيل هذا الحكم على الأدلة الآتية :

---

(١) سورة الحجرات الآية (١١).

(٢) الأطفال في الإسلام صـ٤٤، ٤٥.

(٣) الأحكامى المتعلقة بالهرمنة د.عادل الصاوى ص١٦٠ طبع دار الفكر الجامعى ٢٠٠٩

(٤) الإيدز مرض العصر، د/ مدحت عزيز شوقي صـ٩٥، ٩٦، أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية صـ٦٨.

(٥) أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية صـ٦٦، ٦٧.

أولاً : من القرآن الكريم :

١- قوله تعالى:" وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" [١] وفي جماع المريض للسليم إهلاك له؛ لأن العدوى ستنتقل إليه حتمًا وستؤدي به إلى الهلاك لا محالة.

٢- قوله تعالى :" وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" [٢] وفي المباشرة في هذه الحالة نقل للمرض من المريض إلى السليم، وهي أمراض بعضها مهلك يؤدي إلى الوفاة حتمًا كالإيدز، وبعضها مزمن، وكلاهما ضرر من المريض للسليم فيكون حرامًا.

٣- قوله تعالى :" وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا "[٣]

وفي المعاشرة أثناء إصابة أحد الزوجين بهذه الأمراض إلقاء بالنفس إلى التهلكة وإضرار للسليم فيكون محرمًا.

يقول الإمام القرطبي : إذاية المؤمنين والمؤمنات هي أيضًا بالأقوال والأفعال القبيحة.[٤]

ثانيًا : من السنة :

عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "لا ضرر ولا ضرار في الإسلام".[٥]

وجه الدلالة من الحديث :

---

(١) سورة البقرة، جزء الآية (١٩٥).

(٢) سورة النساء جزء الآية (٢٩).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٥٨).

(٤) الجامع الأحكام القرآن للقرطبي جـ٦ صـ٥٤٧٤، دار الغد العربي، الطبعة الثانية.

(٥) سبق تخريجه صـ٤٣.

الإنسان مكلف بأن يزيل الضرر عن نفسه؛ لأن نفسه ليست ملكًا له بل هي مملوكة لله تعالى؛ لأنه خالقها وبارؤها، ولا يجوز أن يلحق الضرر بغيره لأنه ظلم والظلم حرام، وإقرار الظالم على ظلمه حرام وممنوع. (١)

وعلى هذا فقد دل الحديث الشريف على تحريم الضرر لأنه إذا نفى ذاته دل على النهي عنه؛ لأن النهي هو طلب الكف عن الفعل ... وقد جاء النفي الذي يفيد النهي، والتحريم في الحديث عامًا ليشمل تحريم كل صور الضرر وأنواعه. (٢)

ثالثًا : القياس :

يمكن قياس تحريم الوطء أثناء قيام هذه الأمراض على تحريم الوطء أثناء الحيض بجامع الأذى في كل منهما، والجماع في الحيض محرم بقوله تعالى :"وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " فالجماع في زمن الحيض ههنا محرم لأجل الأذى العارض في فترة الحيض.

فما الظن بالأذى القاتل والمستمر إلى الوفاة والمفضي حتمًا إلى الموت أو المفضي للأذى المزمن فيكون حتمًا محرمًا من باب القياس الأولوى.

رابعًا : من المعقول من وجهين :

الوجه الأول :

أن القول بإباحة الممارسة الجنسية بين الزوجين في مثل هذه الحالات إخلال بمقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية وهو الحفاظ على النفس؛ لأن في الجماع مع الإصابة بهذه الأمراض أو بعضها إفضاء بنفس السليم إلى الهلاك أو القرب منه وكلاهما منهى عنه فيكون حرامًا.

الوجه الثاني :

---

(١) المقاصد الشرعية صـ١١٤.

(٢) المقاصد الشرعية، صـ١١٤.

أن القول بالإباحة يقتضي احتمال حمل، وقد ثبت أن مثل هذه الأمراض تنتقل إلى الجنين، وقد يولد الطفل بتشوهات خلقية أو يصيبه العمى، فيكون فيه إخلال بمقصد عظيم من مقاصد الشارع الحكيم وهو الحفاظ على النسل.

خامسًا : القواعد الفقهية :

هذه القضية تندرج تحت قاعدة "الضرر يزال" والمعنى : أن الضرر تجب إزالته؛ لأن الضرر ظلم وغدر والواجب عدم إيقاعه؛ لأن الأضرار مرفوعة ومزالة ولا يحق أن تقع أصلاً، وإطلاق الضرر يفهم منه أن التحريم ليس قاصرًا على الأضرار الواقعة بالفعل، بل ما كان منها ابتداء[1]، والجماع بين الزوجين – إذا كان أحدهما مصابًا بمرض معدي، والآخر صحيحًا – محرم؛ لأنه يؤدي إلى إلحاق الضرر بالغير فيكون محرمًا من أجل هذا المعنى، وكل ما أدى إلى الحرام فهو حرام.

مسؤولية الجاني بالممارسات الشاذة

إن الأثر المترتب على الجناية بالتعدى بالممارسات الشاذة هو ما قد يتمثل في نقل المرض أو التسبب فيه أو تعطيل وظائف الأعضاء كالتسبب في العقم بسبب الجماع في الحيض ، ونحو ذلك .

وقل أن تجد هذه المسألة مصرحا بها على وجه البيان التام، وقد مر العلماء بها على عجل دون تفصيل وبدون ذكر رأى أهل الطب ، وبالاستقراء فإنى لم أجد فيما يبدو لى أن أحدا من فقهاء المسلمين القدامى بحث تعويض المجني عليه بالممارسات الجنسية الشاذة عما فاته بسبب الجناية عليه.

وأرى وجوب تحمل الجاني مسؤولية جنايته من تكاليف العلاج الطبي للمجني عليه، أو دية تعطيل العضو ، أو أرش الجناية ودليل ذلك ما يلى :

أولاً: أنه لولا العلاج ربما حصلت سراية بالتعدى بهذه الممارسات إلى تلف النفس.

ثانيا :أن ذلك يتفق مع قواعد المسئولية في الشريعة؛ إذ هو داخل في باب إتلاف النفس بالتسبب أي فلا يتعارض مع وجوب الدية والأرش .

(١) المقاصد الشرعية صـ١١٤.

ثالثا : أن أجرة الطبيب وخلافه ضرر مالي يلحق بالمجني عليه غير الأذى الذي لحقه في جسمه، فإذا كانت أجرة الطبيب هي حكومة العدل الواجبة بقي الضرر الذي أصاب جسمه بلا عوض؛ إذ لم يتضمن الطرف الآخر إزالته، وهذا مناف لعدل الشريعة الإسلامية الحكيمة واعتدالها .

نتائج البحث:

النتيجة الأولى:

من أهم مقاصد الإسلام حفظ التوازن المجتمعى وتجريم وتحريم التعديات الآثمة والنزوات الطائشة والفلتات التي تصدر عن المعتدين.

النتيجة الثانية :

أن لطغيان النفس إذ تنجرف مع تيار الهوى فظائع وجرائم، ولا يحد من سطوتها أو يكسر من حدتها أو يقلل من خطرها إلا إقامة العقوبة بنسبة ما تحدثه المعصية من خطر وضرر وما ينجم عنها من فساد وخراب، واقدام على انتهاك حرمة النفس.

النتيجة الثالثة :

أن الفقه الإسلامي فيه من الخصائص والمُمَيزيات التي تجعله صالحًا لاستيعاب كل المستجدات الحديثة، ومعالجتها بطريقة دقيقة، وإعطائها الحكم الشرعي الصحيح المبني على قواعد الشريعة الإسلامية ونصوصها، وهذا يجعله مسايرًا للزمان والمكان.

النتيجة الرابعة :

أن تعاليم الإسلام كلها تؤدي إلى الاحتفاظ بالصحة البدنية والنفسية، والروحية والعقلية والارتقاء بها إلى أعلى ما يمكن أن تصل إليه، ولو اتبع الناس تعاليم هذا الدين الحنيف بدقة لسعدوا في الدنيا والآخرة.

النتيجة الخامسة :

الإسلام ينظر إلى الجنس على أنه طاقة من طاقات الحياة، ولذة من لذاته التي إذا ما استُخدمت في الحلال كانت عبادة لله رب العالمين، وكان فيها راحة النفس والقلب وبناء المجتمع؛ فالجنس في الإسلام جزء من أخلاقيات الفرد، وجزء من بنائه الاجتماعي، ووسيلة الإنسان للاستمرار والانتشار، ورابط أساسي بين الرجل والمرأة في ظل عقد مشروع.

النتيجة السادسة : أن التشريعات الإسلامية هي وحدها الكفيلة بحماية النفس والفضيلة؛ لأنها تجعل هذه الحماية جزء من العقيدة وفريضة يجب القيام بها.

والله أعلم وأحكم

دكتور

عادل الصاوي محمود الصاوي.